

شَرْحُ

الصَّلَاةُ الْكُبْرَى

لِلشَّيْخِ الْأَكْبَرِ ابْنِ عَرَبٍ وَرَبِّهِ

تَأْلِيفُ

السَّيِّدِ عَبْدِ الْغَفِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّابُلِيِّ قَسَمَهُ
لِلنَّوْفِ ٧٨٤ هـ

تَحْقِيقُ

السَّيِّدِ الْكَاتِبِ قَاسِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْكَلْبَلِيِّ
الْحَبِيبِيِّ الشَّاذِلِيِّ الْقَارِي



BOOKS - PUBLISHER

مطبعة - دار النشر - القاهرة

شرح الصلاة الكبرى
للشيخ الأكبر ابن عربي

Sharḥ al-Ṣalāt al-Kubrā
The explanation of "As-salat al-kubra"
of Ibn Arabi

المؤلف - Author

الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ)
Sheikh Abdul Ghani Al-Nabulsi
(D. 1143H)

المحقق - Editor

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكوالي
Sheikh. Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali

التصنيف - Classification

نصوف

Sufism

القياس، عدد الصفحات - Pages, Size

17*24 cm ; 128 ط

سنة الطباعة - Year

2012 A.D - 1433 H.

بلد الطباعة - Printed in

لبنان - Lebanon

الطبعة - Edition

الأولى - First

ISBN : 978-2-7451-7214-3

All Rights Reserved



BOOKS - PUBLISHER

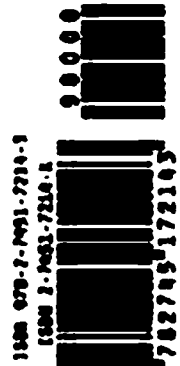
بيانات الناشر - الناشر - الناشر

Musica, Ras Nabaa, Mohamed Al Hout Street,
Kafar Bishara, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel: +961 71 382 377-3 02011-324 Beirut Al-Salib
E-mail: books.publisher@hotmail.com

Publication Rights by © BOOKS - PUBLISHER
 Beirut-Lebanon the part of this publication may be
 reprinted, reproduced, distributed in any form or by any
 means, or stored in a database or retrieval system without
 the prior written permission of the publisher.

The book is published under the name of © BOOKS - PUBLISHER
 Beirut-Lebanon. The reproduction of this publication, or any part
 thereof, without the publisher's written permission, is prohibited.
 The publisher is not responsible for the content of the book or for the
 consequences of its use.

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر
 بيروت-لبنان. أي إعادة طبع أو توزيع أو
 نشر أو تخزين في قاعدة بيانات أو نظام استرجاع
 أو أي وسيلة أخرى دون إذن الناشر
 يعتبر انتهاكاً لحقوق النشر.



سر الله الخفي

تقديم

بسم الله الباطن في أحديثه المعبر عنها بالكثرة المخفي مصداقاً لما ورد في الأثر: «كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم في عرفوني» حيث كان الله ولم يكن شيء غيره وهو الآن على ما عليه كان، والحمد لله الظاهر في واحدته المعبر عنها بتجلي الأسماء والصفات حيث كل يوم هو في شأن. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد عبد الله ورسوله وحبيبه، الإنسان الكامل، والخليفة الحقيقي، في أرض ناسوت جسمه، وملكوت سماء قلبه، وجبروت سرّ روحه.

ويعدّ فمعلوم عند المسلمين والمؤمنين والمحسنين أن الصلاة على النبي ﷺ هي من أفضل ما يتقرب به المتقربون إلى الله تعالى وقد نبّه الله تعالى عباده وأحبابه على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَبَلَغَكُمُ صَلَواتَهُ عَلَى النَّبِيِّ بِمَا هِيَ الْوَيْتُ مَأْمُونُوا صَلَواتِهِ وَسَلَامُوا وَسَلَامًا﴾ [الأحزاب: الآية 56]، وكذلك النبي ﷺ بقوله: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً». فالصلاة على النبي ﷺ تجعل المصلي يتخلق بأخلاقه ﷺ ظاهراً وباطناً، حساً ومعنى، شريعة وحقيقة، قلباً وقالماً، ملكاً وملكوتاً، بصراً وبصيرة، فالنبي ﷺ هو الأسوة الحسنة، وهو باب الحضرة ومتهاها. فقد جمع بدينه الكامل كل الأديان، وانطوى بسرّه كل أسرار الأنبياء والرسل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية 3]، وقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم

القيامه ولا فخر ويدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه -
إلا تحت لوائتي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

هذا وقد وهب الله أوليائه الذين ورثوا عن النبي ﷺ أحكام الشريعة وأسرار
الحقيقة صيفاً جليلاً في الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وقد حرص
المريدون على تلاوة هذه الصلوات والتقرب بها إلى الله تعالى، كما حرص كثير
من علماء الأمة الكبار المتشرعين والمنحققين على جمع صيغ هذه الصلوات
وأفردوا لها المؤلفات، ومن هؤلاء العلماء العارف بالله تعالى الشيخ يوسف
النبهاني رحمه الله تعالى، فله كتابان في ذلك هما أفضل الصلوات على سيد
السادات، وجامع الصلوات ومجمع السعادات في الصلاة على سيد السادات.

ومن صيغ الصلوات على النبي ﷺ التي اشتهرت بين السادة الصوفية هي
صلوات القطب أحمد بن إدريس، وصلوات الشيخ الأكبر محيي الدين ابن
عربي، ومن هذه الصلوات الصلاة الكبرى للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي
وهي هذه التي نقلناها للقراء الكرام، وتزداد أهميتها وفائدتها لأن شارحها هو
الشيخ العارف بالله تعالى عبد الغني النابلسي الذي يعتبر من متأخري أئمة
التصوف المجتدين والمتابعين لمشرب الشيخ الأكبر في القول بوحدة الوجود،
وللشيخ عبد الكريم الجيلبي في القول بفلسفة الإنسان الكامل والحقيقة
المحمدية، إضافة إلى كونه علامة في علمي الشريعة والطريقة، ومما يدل على
علو مقامه وطول بابه في شتى العلوم وخصوصاً في التصوف قوله في مقدمة
ديوانه «ديوان الحقائق ومجموع الرقائق»:

وأنا الذي في ظاهري متمسك	بشريعتي في سائر الأحكام
وأنا الذي في باطني منحقق	بحقائق التوحيد والإلهام
أنا مجمع البحرين موسى ظاهر	والباطن الخضر الأجل السامي
هيئات أن تنجو فراعين العدا	مني وبحري بالمعارف طامي
وعلي من عين السراق أعين	للحق تحفظني مدى الأيام

وأنا لأطيار الحقيقة مخرس
وأنا البلاد وأهلها أنا لا سوى
والعارفون رعبتي في قبضتي
فافتح عيونك في وجوه قلوبنا
واصدق وصادقنا ولا تنظر إلى
نحن الشموس وما خفافيش الوري
وأنا الإمام بها لكل إمام
والشام من دون البرية شامي
والغوث والأقطاب من خذامي
وانظر إلى الأحوال يا متعامي
ما يقتضي منها فهم عوام
تستطيع تبصر غير محض ظلام

والكتاب نشره محققاً عن مخطوط معهد دراسات الثقافة الشرقية بجامعة طوكيو رقم (335). وكان عملنا فيه على النحو التالي:

- 1 - نسخ المخطوط.
- 2 - ضبط النص.
- 3 - شرح بعض المصطلحات الصوفية.
- 4 - عزو الآيات القرآنية.
- 5 - تخریج الأحاديث النبوية الشريفة.
- 6 - وضع متن الصلاة الكبرى بالفونط الأسود بين هلالين.
- 7 - وضع متن الصلاة الكبرى في أول الكتاب قبل شرح الشيخ عبد الغني النابلسي.
- 8 - ترجمة الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي قدس سره.
- 9 - ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المرید على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمر بها السالك إلى الله تعالى، كما يطلع على الحكم والقواعد الصوفية التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام، وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَأَعِزِّدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ بِأَيْدِكَ الْقِيَٰمُ ۝﴾ [الحجر: الآية 99]. كل

ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان؛ الشريعة والطريقة والحقيقة؛ المُلْك والملكوت والجبروت، مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، وقوله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أسرار ما تعبّدنا الله به على لسان نبيه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ كِبِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتْلُقُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [١] ﴿إِنْ مَرَّ إِلَّا وَتَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَأُتِيَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَتُحْمَلُ السُّورَةُ الْقُرْآنِ وَالْجِبَالُ مَوَازِينًا﴾ [النجم: الآية ٣-٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالضَّالِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: الآية ٦٩]، لننال السعادة الحقيقية المتمثلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِلُ كَلْبًا﴾ [٢] ﴿إِنَّ رَبَّكَ كَلْبَةٌ﴾ [٣] [القبلة: الآية ٢٢ - ٢٣].

كتبه الشيخ الدكتور

عاصم إبراهيم الكبالي

الحسيني الشاذلي الدرقلوي

ترجمة شارح الصلاة الكبرى

الشيخ عبد الغني النابلسي

(1050 - 1143 هـ / 1641 - 1731 م)

● هو العارف بالله تعالى المحقق الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الدمشقي الصالحي الحنفي النقشبندي القادري المعروف بالنابلسي: شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف في شتى العلوم من فقه وعقيدة وتصوف، متصوف على مشرب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي صاحب فلسفة وحدة الوجود المتوفى سنة 638 هـ، والشيخ عبد الكريم الجيلي صاحب فلسفة الإنسان الكامل النبي محمد ﷺ ووراثه الكُمل المتوفى سنة 805 هـ.

● ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سوريا، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق، وتوفي فيها في 24 شعبان سنة 1143 هـ.

● له مصنفات كثيرة، منها: «الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية» و«تعطير الأنام في تعبير المنام» و«ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث» فهرس لكتب الحديث الستة، و«علم الفلاحة» و«نفحات الأزهار على نسمات الأسحار» و«إيضاح الدلالات في سماع الآلات» و«ذيل نفحة الريحانة» و«حلة الذهب الإبريز، في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز» و«الحقيقة والمجاز، في رحلة الشام ومصر والحجاز» و«قلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان» رسالة في العقيدة، و«جواهر النصوص في شرح فصوص الحکم لابن عربي» تصوف

جزآن⁽¹⁾، و«شرح أنوار التنزيل للبيضاوي» و«كفاية المستفيد في علم التجويد» و«الاقتصاد في النطق بالضاد» تجويد، و«مناجاة الحكيم ومناغاة القديم» تصوف، و«خمرة الحان ورنه الألحان»⁽²⁾ شرح رسالة الشيخ أرسلان تصوف، و«خمرة بابل وغناء البابل» من شعره، «ديوان الحقائق ومجموع الرقائق»⁽³⁾ من شعره في التصوف، و«الرحلة الحجازية والرياض الأنسية» و«كتر الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين» و«الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان» فقه، و«شرح المقدمة السنوسية» عقيدة، و«رشحات الأقلام في شرح كفاية الغلام» في فقه الحنفية، و«ديوان الدواوين» مجموع شعره، و«كشف الستر عن فرضية الوتر» رسالة في الفقه، و«لمعات الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار» رسالة، و«خمس مجموعات»، و«شرح الصلاة الكبرى لابن عربي» وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، و«مفتاح المعية شرح رسالة طريقة السادة النقشبندية»⁽⁴⁾.

(1) وهو مطبوع في الدار بتحقيقنا.

(2) والكتاب مطبوع في الدار.

(3) مطبوع في الدار.

(4) وهو مطبوع في الدار بتحقيقنا.

ترجمة مؤلف الصلاة الكبرى الشيخ الأكبر ابن عربي (*)

نسبه

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخي عدني بن حاتم من قبيلة طيء مهد النبوغ والتفوق العقلي في جاهليتها وإسلامها. يكنى أبا بكر ويلقب بمحيي الدين، ويعرف بالحاتمي وبابن عربي لدى أهل المشرق تفريقاً بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي.

مولده ونشأته

ولد في يوم الاثنين السابع عشر من رمضان عام خمس مائة وستين هجرية الموافق 28 يولية سنة ألف ومائة وخمس وستين ميلادية في مدينة «مرسية» بالأندلس، وهي مدينة أنشأها المسلمون في عهد بني أمية. وكان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف. وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأة تقيّة ورعة نقيّة من جميع الشوائب الشائبة. وهكذا درج محيي الدين في جو عامر بنور التقوى، فيه سباق حر مشرق نحو الشرفات العليا للإيمان، وفيه عزمات لرجال أقوياء ينشدون نصراً وفوزاً في محارب الهدى والطاعة.

(*) مقتبسة من بحث للدكتور محمد غلاب بعنوان (المعرفة عند محيي الدين ابن عربي) ضمن (الكتاب التذكاري لمحيي الدين ابن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده) الصادر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1969 و.

وانتقل والده إلى إشبيلية، وحاكمها إذ ذاك السلطان محمد بن سعد، وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس، وفيها شب محيي الدين ودرج. وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف حميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب «الكافي»، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهماً في المعاني والإشارات. ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه، يذكروهم لنا الإمام شمس الدين بن مسدي في روايته عن محيي الدين فيقول واصفاً متحدثاً عن أساتذته الأول: «كان جميل الجملة والتفصيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق، والتقدم الذي لا يسبق، سمع في بلاده في شبابه الباكر من ابن زرقون، والحافظ ابن الجذ، وأبي الوليد الحضرمي، الشيخ أبي الحسن بن نصر». ثم لا يذكر لنا التاريخ بعد ذلك شيئاً ذا بال عن شباب محيي الدين، ولا عن شيوخه، ومقدار ما حصل من العلوم والفنون؛ وإنما هو يحدثنا أنه مرض في شبابه مرضاً شديداً. وفي أثناء شدة الحمى رأى في المنام أنه محوط بعدد ضخم من قوى الشر، مسلحين يريدون الفتك به. وبغته رأى شخصاً جميلاً قوياً مشرق الوجه، حمل على هذه الأرواح الشريرة ففرّقها شذر مذر، ولم يبق منها أي أثر، فساله محيي الدين من أنت؟ فقال له: أنا سورة يس.

وعلى أثر هذا استيقظ فرأى والده جالساً إلى وسادته يتلو عند رأسه سورة يس. ثم لم يلبث أن برىء من مرضه، وألقي في روعه أنه معدّ للحياة الروحية، وآمن بوجود سيره فيها إلى نهايتها ففعل.

وفي طليعة هذا الشباب المزهر بفضل ثروة أسرته تزوج بفتاة تعتبر مثلاً في الكمال الروحي والجمال الظاهري وحسن الخلق، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها.

وفي هذه الأثناء كان يتردد على إحدى مدارس الأندلس التي تعلم سراً مذهب الأبيذوقلية المحدث المفعمة بالرموز والتأويلات والموروثات عن الفيثاغورية والأورفيوسية والفطرية الهندية. وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة

التي تدرس لتلاميذها المبادئ الخفية والتعاليم الرمزية منذ عهد ابن مسرة المتوفى بقرطبة في سنة 319 هـ - 931 م والذي لم يعرف المستشرقون مؤلفاته إلا عن طريق محيي الدين. وكان أشهر أساتذة تلك المدرسة في ذلك القرن ابن العريف المتوفى في سنة 1141 م فلم يره محيي الدين، ولكنه تتلمذ على منتجاته وعلى رواية تلميذه المباشر وصديق محيي الدين الوفي أبي عبد الله الغزال.

ومما لا ريب فيه أن استعداده الفطري ونشأته في هذه البيئة التقية، واختلافه إلى تلك المدرسة الرمزية، كل ذلك قد تضافر على إبراز هذه الناحية الروحية عنده في سن مبكرة وعلى صورة ناصعة لا تيسر للكثيرين ممن تشوب حياتهم الأولى شوائب الفرائز والتزوات. فلم يكد يختم الحلقة الثانية من عمره حتى كان قد انغمس في أنوار الكشف والإلهام، ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنه جعل يسير في الطريق الروحاني بخطوات واسعة ثابتة، وأنه بدأ يطلع على أسرار الحياة الصوفية، وأن عدداً من الخفايا الكونية قد تكشف أمامه، وأن حياته منذ ذلك العهد المبكر لم تعد سوى سلسلة من البحث المتواصل عما يحقق الكمال لتلك الاستعدادات الفطرية التي تنير أضواءها جوانب عقله وقلبه. ولم يزل عاكفاً على ذلك النشاط الروحاني حتى ظفر بأكبر قدر ممكن من الأسرار. ولم تكن آماله في التغلغل إلى تلك الأسرار وبحوثه عن وسائلها الضرورية تقف عند حد، لأنه أبقن منذ نعومة أظفاره بأنه مؤمن بمبادئ عقيدة حقيقية أزلية مرت بجميع الأزمان الكونية، وطافت بكل الأجناس البشرية متممة ما فيها من نقص وقصور، وأنها جمعت كل الروحانيات في الوحدة الفطرية التي تتمثل من حين إلى آخر في صور تنسكية رفيعة تبدو على مسرح الإنسانية رداً من الزمن ثم تختفي، ولا يدرك حقيقتها إلا القليلون.

وأكثر من ذلك أنه حين كان لا يزال في قرطبة قد تكشف له من أقطاب العصور البائدة عدد من حكماء فارس والإغريق كفيثاغورس، وأمبيدوقليس، وأفلاطون ومن إليهم ممن أقيت على كواهلهم مسؤولية القطبية الروحية في عصورهم المتعاقبة قبل ظهور الإسلام. وهذا هو السبب في أنه قد شغف بأن

يطلع على جميع الدرجات التنسكية في كل الأديان والمذاهب عن طريق أرواح رجالها الحقيقيين بهيئة مباشرة، وبصورة مؤسسة على الشرف العلمي الذي يحمل الباحث التزيه على الاعتماد عليه دون أدنى تردد أو ارتياب.

غير أن هذه السكينة الروحانية التي بدأت لدى هذا الشاب مبكرة والتي كانت ثمارها فيما بعد تتمثل في تلك المعرفة التي أشرنا إليها آنفاً، لم تدم طويلاً على حالة واحدة، إذ أنه لم يلبث أن تبين أول الأمر بالإلهام، ثم عن طريق الكشف الجلي أنه لم يعد له بدّ - في تلك البيئة المغريبة إذ ذاك - من أحد أمرين: إما أن يجاري التيار العام الذي كان يحلق به إحداق السوار بالمعصم، وهو أن يتقيد في جميع أفكاره وتعلقاته وأحاسيسه ومشاعره وحركاته وسكناته بحرفية الدين التي لا روح فيها ولا حياة ولا سرّ ولا رمز ولا تأويل، وبهذا تختفي شخصيته الحقيقية وتفشل رسالته الطبيعية، وهذا شيء لا يستطيعه بأي حال، وإما أن يسير على فطرته وحسب تكوين عقله وقلبه فيصطدم في كل خطوة من خطواته من أهل الحل والعقد في البلاد. وقد حدث ذلك فعلاً حيث احتدمت بينه وبين بعض الأمراء الموحدين مجادلات عنيفة، وحيكت حوله دسائس قوية اتهمته بإحداث اضطراب في سياسة الدولة.

وإذ ذاك رأى في حالة البقظة أنه أمام العرش الإلهي المحمول على أعمدة من لهب متفجر، ورأى طائراً بديع الصنع يحلق حول العرش ويصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق وينبئه بأنه سيكون هو مرشده السماوي، وبأن رفيقاً من البشر يدعى فلاناً ينتظره في مدينة فاس، وأن هذا الأخير قد أمر هو أيضاً بهذه الرحلة إلى الشرق، ولكنه يجب ألا يرتحل قبل أن يجيء إليه رفيق من الأندلس، فيفعل ما أمر به ويرتحل بصحبة هذا الرفيق.

وفيما بين سنتي 597، 620 هـ 1200، 1223 م يبدأ رحلاته الطويلة المتعددة إلى بلاد الشرق فينتجه في سنة 1201 م إلى مكة فيستقبله فيها شيخ إيراني وقور جليل عريق المحدث ممتاز في العقل والعلم والخلق والصلاح. وفي هذه الأسرة التقية يلتقي بفتاة تدعى «نظاما» وهي ابنة ذلك الشيخ، وقد حبتها

السماء بنصيب موفور من المحاسن الجسميّة، والميزات الروحانية الفائقة، فاتخذ منها محيي الدين رمزاً ظاهرياً للحكمة الخالدة، وأنشأ في تصوير هذه الرموز قصائد سجلها في ديوان ألفه في ذلك الحين.

وفي هذه البيئة النقية المختارة له من قبل سطعت مواهبه العقلية والروحية، وتركزت حياته الصوفية، وجعلت تصعد في معارج القدس شيئاً فشيئاً حتى بلغت شأواً عظيماً. ومن ذلك أنه في إحدى طوفاته التأملية والبدنية بالكعبة يلتقي من جديد بمرشده السماوي الذي أمره سالفاً بالهجرة من الأندلس والمغرب إلى الأصقاع الشرقية، فيلتقي منه الأمر أيضاً بتأليف كتابه الجامع الخالد «الفتوحات المكية» الذي ضمنه أكثر وأهم آرائه الصوفية والعقلية ومبادئه الروحية، والذي لا يتناول إلى قمته في عصره أي كتاب آخر فيما نعلم من إنتاج هذا الصنف من المتسكين.

وفي سنة 1204 م يرحل إلى الموصل حيث تجتذبه تعاليم الصوفي الكبير علي بن عبد الله بن جامع الذي تلقى لبس الخرقة عن الخضر مباشرة، ثم لبس محيي الدين إياها بدوره.

وفي سنة 1206 م نلتقي به في القاهرة مع فريق من الصوفية الذي يطبقون حياة تنسكية قوية محافظة. وهنا يظهر له رائد سماوي يأمره بإدخال شيء من الكمال على مذهبه، ولكنه لا يكاد يفعل حتى يتنمر له عدد من الفقهاء يحكيون حوله وحول أصحابه شباكاً من الدسائس تهتد اطمئنانهم بل حياتهم، ولولا نفوذ أحد أصدقائه لوقع في ذلك الخطر، ولكنه لحسن حظه يستطيع أن ينجو بنفسه ويفر إلى مكة في سنة 1207 م فيلتقي فيها بأصدقائه القدماء الأوفياء، ويقيم بينهم في هدوء وسكينة نحو ثلاثة أعوام، ثم يرحل إلى قونية بتركيا حيث يتلقاه أميرها السلجوقي باحتفال بهيج.

وهناك يتزوج بوالدة صدر الدين القونيو، وهو أحد تلاميذه المفضلين ثم لا يلبث أن يرحل إلى أرمينيا، ومنها إلى شاطيء الفرات.

وفي سنة 1211 م نلتقي به في بغداد حيث يتصل بالصوفي المعروف شهاب الدين عمر السهروردي.

وفي سنة 1214 م يعود إلى مكة ولا يكاد يستقر فيها حتى يجد أن عدداً من فقهاء المنافيين الدسائسين قد جعلوا يشوهون سمعته ويرمون به بأن قصائده التي نشرها في دهبوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عاماً كانت تصور غرامه المادي الواقعي بالفتاة «نظام» ابنة صديقه الشيخ الإيراني التي أشرنا آنفاً إلى أنه اتخذ منها رمزاً نقياً للحكمة الخالدة. وعندما تبين هذه التهمة الرخيصة وعرف مصادرها الحقيقية حمل عليها وعلى واضعها حملة قوية كشفت زيفها للجميع بصورة جعلت القائمين بها يعترفون بأخطائهم ويعتذرون إليه عنها.

وبعد ذلك يرتحل إلى حلب فيقيم بها ردهاً من الزمن معزواً مكرماً من أميرها. وأخيراً يلقي عصا التسيار في دمشق في سنة 1223 م حيث كان أميرها أحد تلاميذه المؤمنين بعلمه ونقاؤه ويظل بها يؤلف ويعلم، ويخرج التلاميذ والمريدين بحوطة الهدوء وتحف به السكينة حتى يتوفى بها في 28 ربيع الثاني من سنة 638 هـ الموافق 16 نوفمبر من سنة 1240 م.

مؤلفاته وشيوخه(*)

قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء»
ضمن ترجمته للشيخ ابن عربي:

وقد اطلعت له على إجازة أجاز بها الملك المظفر ابن الملك العادل الأيوبي، ذكر فيها كثيراً من مشايخه ومؤلفاته، ولتمام الفائدة أذكرها هنا بحروفها فأقول: قال رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين: أقول وأنا محمد بن علي بن العربي الطائي الأندلسي الحاتمي، وهذا لفظي: استخرت الله تعالى، وأجزت السلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي، ابن الملك العادل المرحوم إن شاء الله تعالى أبي بكر بن أيوب وأولاده، ولمن أدرك حياتي الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي، من قراءة وسماع ومناولة وكتاب وإجازة، وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم، وما لنا من نشر ونظم على الشرط المعتر بين أهل هذا الشأن، وتلفظت بالإجازة عند تعييري هذا الخط، وذلك في غرة محرم سنة 632 بمحروسة دمشق وكان قد سألني في استدعائه أن أذكر من أسماء شيوخي ما تيسر لي ذكره منهم، وبعض مسموعاتي، وما تيسر من أسماء مصنفاتي، فأجبت استدعائه نفعه الله تعالى بالعلم، وجعلنا وإياه من أهله، إنه وليّ كريم.

فمن شيوخنا أبو بكر بن أخلف اللخمي، قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع بكتاب الكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعييني في

(*) انظر جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهاني (ج 1 ص 163 - 169).

مذاهب القراء السبعة المشهورين، وحدثني عن ابن المؤلف.

ومن شيوخنا في القراءة أبو الحسن شريح بن محمد بن محمد بن شريح الرعيني، عن أبيه المؤلف.

ومن شيوخنا في القرآن أيضاً أبو القاسم عبد الرحمن بن غالب الشراط، من أهل قرطبة، قرأت عليه أيضاً القرآن الكريم بالكتاب المذكور وحدثني أيضاً عن ابن المؤلف أبي الحسن شريح عن أبيه المؤلف محمد بن شريح المقرئ.

ومن شيوخنا القاضي أبو محمد عبد الله البازلي قاضي مدينة فاس، حدثني بكتاب «التبصرة في مذاهب القراء السبعة» لأبي محمد مكي المقرئ عن أبي بحر سفيان ابن القاضي، عن المؤلف بجمع تأليف مكي أيضاً، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي حمزة، سمعت عليه كتاب التيسير في مذاهب القراء السبعة لأبي عمرو عثمان بن أبي سعيد الداني المقرئ، حدثني به عن أبيه عن المؤلف وبجميع تأليف الداني وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن دربون، سمعت عليه كتاب البقي لأبي عمر يوسف بن عبد البر النميري الشاطبي، وحدثني به عن أبي عمران موسى بن أبي بكر ابن المؤلف وبجميع تأليفه مثل الاستذكار، والتمهيد، والاستيعاب، والانتقاء، وأجاز لي إجازة عامة في الروايتين، أجاز لي أن أرويه عنه وجميع تأليفه.

ومن شيوخنا المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي، حدثني بجميع مصنفاته في الحديث، وعين لي من أسمائها تلقين المبتدي، والأحكام الصغرى والوسطى والكبرى، وكتاب العاقبة في ذكر الموت، وكتاب الرقائق ومصنفات أخرى، وحدثني الإمام أبي محمد علي بن

أحمد بن حزم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح، عنه.

ومن شيوخنا عبد الصمد بن محمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني، سمعت عليه صحيح مسلم حدثني به عن الفراوي عن عبد الغفار الجلودي، عن إبراهيم المروزي عن مسلم، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا يونس بن يحيى أبي الحسن العباسي الهاشمي، نزل مكة سمعت عليه كتباً كثيرة في الحديث والرقائق، منها كتاب صحيح البخاري.

ومن شيوخنا المكيين أبو شجاع زاهد بن رستم الأصفهاني إمام المقام بالحرم، سمعت عليه كتاب الترمذي لأبي عيسى، حدثني به عن الكرخي عن الخزاعي المحبوبي عن الترمذي، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا البرهان نصر بن أبي الفتوح بن عمر الحصري إمام مقام الحنابلة بالحرم الشريف، سمعت عليه كتباً كثيرة منها السنن لأبي داود السجستاني، حدثني بها، عن أبي جعفر بن علي بن السمناني، عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي البصري، عن أبي علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، عن أبي داود، وأجاز لي إجازة عامة. وحدثني بكتب ابن ثابت الخطيب عن أبي جعفر السمناني.

ومن شيوخنا سالم بن رزق الله الإفريقي، سمعت عليه كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري، حدثني به عنه وبجميع مصنفاته وتأليفه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا محمد أبو الوليد بن أحمد بن محمد بن سبيل، قرأت عليه كثيراً من تأليفه، وناولني كتاب «نهاية المجتهد وكفاية المقتصد» والأحكام الشريفة من تأليفه.

ومن شيوخنا أبو عبد الله بن العزي الفاخري، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو سعيد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور

الصفاء، حدثني بكتب الواحدي كتابة عبد الجبار محمد بن أحمد الحواري عنه.

ومن شيوخنا أبو الوابل بن العربي، سمعت عليه سراج المهتدين للقاضي ابن العربي ابن عمه، حدثني به عنه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو الثناء محمود بن المظفر اللبان، حدثني بكتب ابن خميس عنه.

ومنهم: محمد بن محمد بن محمد البكري، سمعت عليه رسالة القشيري، وحدثني بها عن أبي الأسعد عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، عن جده عبد الكريم، المؤلف، وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: ضياء الدين عبد الوهاب بن علي بن علي بن مكينة شيخ الشيوخ ببغداد، أجازني إجازة عامة، وأخذ عني وأخذت عنه، وسمعت عليه بمدينة باب السلام بحضور ابنه عبد الرزاق.

ومنهم: أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، حدثني بتأليف البيهقي وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر السلفي الأصبهاني، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن عمرو بن شريح الرعيني المقرئ، أجازني وكتب إلي أن أروي عنه كتب عبد الرحمن السلمي، وحدثني عن محمد نصار البيهقي عنه.

ومنهم: جابر بن أيوب الحضرمي، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقرئ.

ومن أجازني إجازة عامة محمد بن إسماعيل بن محمد القزويني، والحافظ الكبير ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق.

- ومنهم: أبو القاسم خلف بن بشكوال.
- ومنهم: القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الشافعي.
- ومنهم: يوسف بن الحسن بن أبي النقاب بن الحسين وأخوه أبو العباس أيضاً، وأجازنا أبو القاسم ذاكر بن كامل بن غالب.
- ومنهم: محمد بن يوسف بن علي الغزنوي الخفاف.
- ومنهم: أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسن بن عمر بن أحمد القرشي الميastى.
- ومنهم: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحافظ، كتب إلني بالرواية عنه بجميع تأليفه ونظمه ونثره وسمى لنا من كتبه «صفوة الصفوة» و«مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن». وغير ذلك.
- ومنهم: أبو بكر بن أبي الفتح الشبخاني.
- ومنهم: المبارك بن علي بن الحسين الطباخ.
- ومنهم: عبد الرحمن ابن الأستاذ، المعروف بابن علوان.
- ومنهم: عبد الجليل الزنجاني.
- ومنهم: أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن شداد الموصلي.
- ومنهم: أحمد بن أبي منصور.
- ومنهم: محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهب بن جامع بن عبدون البغدادي الصوفي يعرف بابن الثناء.
- ومنهم: محمد بن أبي بكر الطوسي.
- ومنهم: المهنذب بن علي بن هبة الله الطيب الضرير.
- ومنهم: ركن الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب، وأخوه شمس الدين أبو عبد الله.

ومنهم: القرمانى ببغداد.

ومنهم: ثابت بن قرّة الحاوي، قرأت عليه من كتبه وتأليفه، ووقفها بروايتها بمسجد العمادين الجلادين بالموصل.

ومنهم: عبد العزيز بن الأخضر.

ومنهم: أبو عمر عثمان بن أبي يعلى بن أبي عمر الأبهري الشافعي من أولاد البراء بن عازب.

ومنهم: سعيد بن محمد بن أبي المعالي.

ومنهم: عبد الحميد بن محمد بن علي بن أبي المرشد القزويني.

ومنهم: أبو النجيب القزويني.

ومنهم: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم الفاسي، قرأت عليه جميع مصنفاته.

ومنهم: أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسين الرازي.

ومنهم: أحمد بن منصور الجوزي.

ومنهم: أبو محمد بن إسحاق بن يوسف بن علي.

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحنجري.

ومنهم: أبو الصبر أيوب بن أحمد المقرئ.

ومنهم: أبو بكر محمد بن عبيد السكسكي.

ومنهم: ابن مالك، حدثني بمقامات الحريري عن مصنفاته.

ومنهم: عبد الودود بن سمحون قاضي النيك.

ومنهم: عبد المنعم بن القرشي الخزرجي.

ومنهم: علي بن عبد الواحد بن جامع.

ومنهم: أبو جعفر بن يحيى الورعي.

ومنهم: ابن هليل.

ومنهم: أبو زيد السهيلي، حدثني بالروض الأنف في شرح السيرة والمعارف والأعلام وجميع تأليفه.

ومنهم: أبو عبيد الله بن الفخار المالقي المحدث.

ومنهم: أبو الحسن بن انصاف الأنصاري.

ومنهم: عبد الجليل مؤلف المشكل في الحديث وشعب الإيمان.

ومنهم: أبو عبد الله بن المجاهد.

ومنهم: أبو عمران موسى بن عمران المزيلي.

ومنهم: الحاج محمد بن علي ابن أخت أبي الربيع المقومي.

ومنهم: علي بن النضر. ولولا خوف الملل وضيق الوقت لذكرنا جميع من سمعنا عليه ولقيناه.

وها أنا أذكر من تألفي ما تيسر فلانها كثيرة، وأصغرها جرماً كراسة واحدة، وأكبرها ما يزيد على مائة مجلد وما بينهما.

فمن ذلك كتاب المصباح في الجمع بين الصحاح في الحديث. اختصار مسلم. اختصار البخاري. اختصار الترمذي، اختصار المحلي. الاحتفال فيما كان عليه رسول الله ﷺ من سني الأحوال.

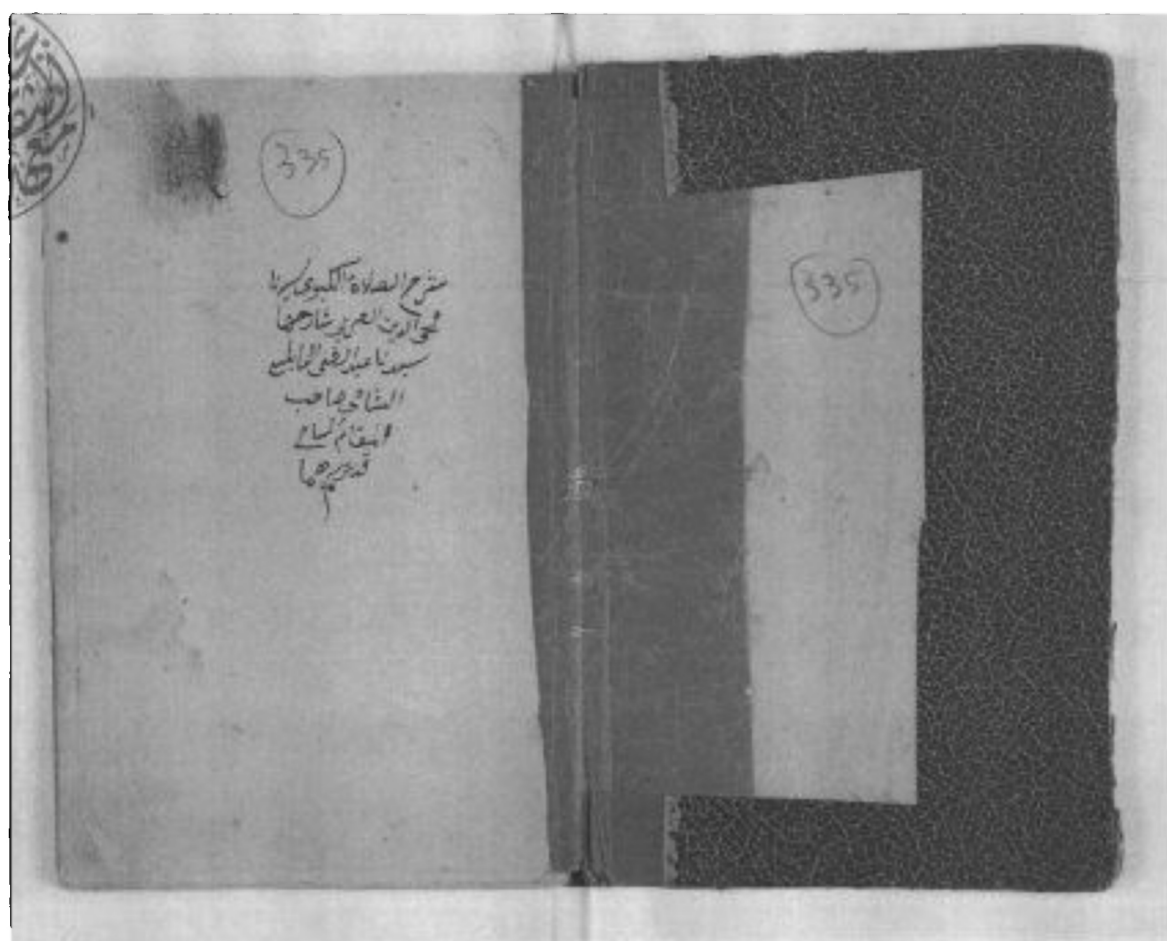
وأما الحقائق في طريق الله تعالى التي هي نتائج الأعمال، فمن ذلك وهو السابع كتاب من تصانيفنا «الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل» أفرغ في أربعة وستين مجلداً إلى قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَلَا قَالٌ مُّوسَىٰ لِفَتْنَةٍ لَاَ أُبْرِحُ﴾ [الكهف: ٦٠]. الجلوة المقتبسة والخطرة المختلصة. مفتاح السعادة في معرفة الدخول إلى طريق الإرادة. المثلثات الواردة في القرآن العظيم. الأجوبة عن المسائل المنصورة. متابعة القطب. مناهج الارتقا إلى اقتضاض أبكار النقا بجنان اللقا، يحوي ثلاثة آلاف مقام في طريق الله تعالى على ثلاثمائة باب، كل باب عشرة مقامات، كنه ما لا يد للمرهد منه. المحكم في المحكم وأذان رسول الله ﷺ. الخلاف في آداب الملا الأعلى. كشف الغين:

سرّ أسماء الله الحسنى. شفاء العليل في إيضاح السبيل. عقلة المستوفز جلاء
القلوب. التحقيق في الكشف عن سرّ الصديق. الإعلام بإشارات أهل الأوام
والإفهام في شرحه. السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج. المنتخب في مآثر
العرب. نتائج الأفكار وحدائق الأزهار. الميزان في حقيقة الإنسان. المحجة
البيضاء. كنز الأبرار فيما روي عن النبي ﷺ من الأدعية والأذكار. مكافأة
الأنوار فيما روي عن النبي ﷺ عن الله تعالى من الأخبار. الأربعين المتقابلة
الأحاديث الأربعين في الطول. العين. التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة
الإنسانية تعشق النفس بالجسم. إنزال الغيوب على سائر القلوب. أسرار قلوب
العارفين. مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية. الخلاء. المنهج
السديد في شرح أنس المنقطعين. الموعظة الحسنة. البقية. الدرة الفاخرة في
ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة من إنسان وحيوان ونبات ومعدن. المبادي
والغايات فيما في حروف المعجم من الآيات. مواقع النجوم. الإنزالات.
الموجود. حلية الأبدال. أنوار الفجر. الفتوحات المكية عشرون مجلداً. تاج
التراجم. الفصوص. الرصوص. الشواهد. القطب والإمامين. روح القدس.
التنزيلات الموصلية. إشارات القرآن في العالم والإنسان. القسم الإلهي.
الأقسام الإلهية. الجمال والجلال. المقنع في إيضاح السهل الممتنع. شروط
أهل الطريق. الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار. عنقاء مغرب.
عقائد أهل علم الكلام. الإيجاد والكون. الرسائل والإشارات في الأسرار.
الإلهيات والكتابات. الحجة. إنشاء الجداول والدوائر. الأعلام في مكارم
الأخلاق. روضة العاشقين. الميم والواو والنون. المعارف الإلهية وهو
الديوان. المبشرات. الرحلة. العوالي في أسانيد الأحاديث. الأحدية. الهوية
الرحمية. الجامع وهو كتاب الجلالة العظيمة. المجد. الديمومة. الجود.
القيومية. الإحسان. الفلك والسعادة. الحكمة. العزة. الأزل. النون.
الإبداع. الخلق والأمر. القدم. الصادر والوارد. الملك. الوارد والواردات.
القدس. الحياة. العلم. المشتبه. الفهوانية. الرقم. العين. المياه. ركن

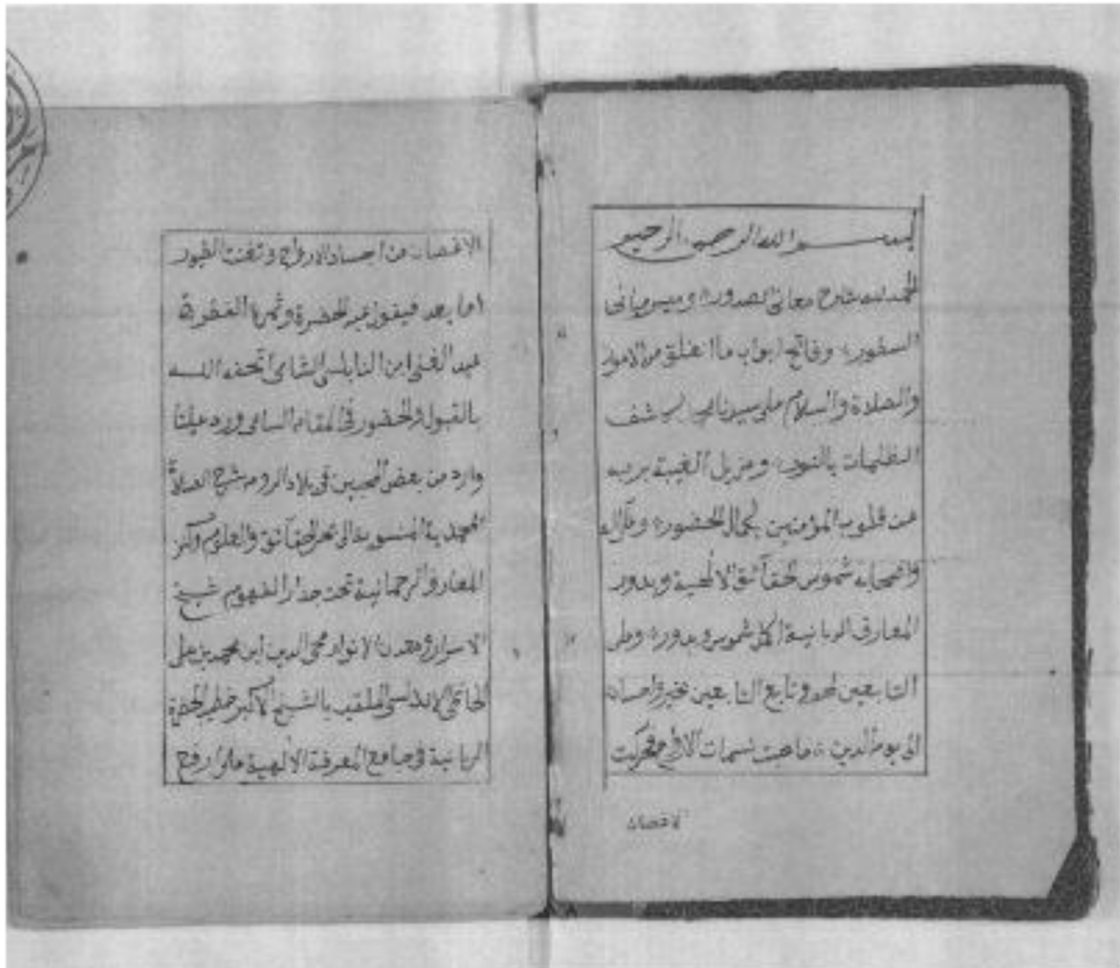
المدائن. المبادي. الزلفة. الرقيم. الدعاء. الإجابة. الرمز. الرتبة. البقاء.
القدرة. الحكم والشرائع. الغيب. مفاتيح الغيب الخزائن العلمية. الرياح
اللواقح. الريح العقيم. الكنز. التدبير والتفصيل. اللذة والألم. الحق.
الحمد. المؤمن والمسلم والمحسن. القدر. الشأن. الوجود. التحويل.
الوحي. الإنسان. التركيب. المعراج. الروائح والأنفاس. الملل. الأرواح.
النحل، البرزخ. الحسن. القسطاس. القلم. اللوح. التحفة والعرافة.
المعرفة. الأعراف. زيادة كبد النون⁽¹⁾. الإسفار في نتائج الأسفار. الأحجار
المتفجرة والمتشقة والهابطة. الجبال. الطباق. النمل. العرش. مراتب
الكشف. الأبيض. الكرسي. الفلك المشحون. الهباء. الجسم. الزمان.
المكان. الحركة. العالم. الآباء العلويات والأمهات السفليات. النجم
والشجر. سجود القلب. الرسالة والنبوة والمعرفة والولاية. الغايات التسعة
عشر. الجنة. النار. الحضرة. المناظرة بين الإنسان الكامل. التفصيل بين
الملك والبشر. المبشرات الكبرى. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار.
الأولين. العبادة. ما يعول عليه وهو كتاب النصائح. إيجاز اللسان في الترجمة
عن القرآن. المعرفة. شرح الأسماء. الذخائر والأعلاق. الوسائل. النكاح
المطلق. فصوص الحكم. نتائج الأذكار. اختصار السيرة النبوية المحمدية.
اللوامح. اللوائح. الاسم والرسم. الفصل والوصل. مراتب العلوم. الوهب.
انتقاش النور. النحل. الوجد. الطالب والمجذوب. الأدب. الحال. الشريعة
والحقيقة. التحكم والسطح. الحق. المخلوق. الأفراد وذوو الأعداد.
الملامية. الخوف والرجاء. الفيض والبسط. الهيبة والأنس. اللسانين.
التواصي الليلية. الفناء والبقاء. الغيبة والحضور. الصحو والسكر. التجليات.
القرب والبعد. المحو والإثبات. الخواطر. الشاهد والمشاهد. الكشف.
الولد. التجريد والتفريد. العزة والاجتهاد. اللطائف والعوارف. الرياضة

(1) الحوت (مشارك الأنوار على صحاح الآثار لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي).

والتجلي. المحق والسحق. التودد والهجوم. التلوين والتمكين. اللمة والهمة. العزة والغيرة. الفتوح والمطالعات. الوقائع. الحرف المعني. التدني والتدلي. الرجعة. السر والخلوة. النون. الختم والطبع. انتهت، ولعزتها ذكرتها هنا فإنها من أعظم كراماته رضي الله عنه، فلم أخرج بذكرها من الصدد الذي ألف الكتاب لأجله، وقد رأيت كتاباً مستقلاً في ذكر مؤلفاته وفيه كثير منها لم يذكر هنا في هذه الإجازة، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة 638 هجرية.



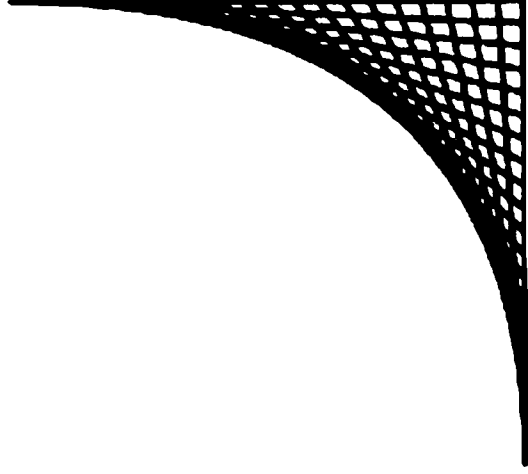
صورة غلاف المخطوط



صورة الورقة الأولى من المخطوط

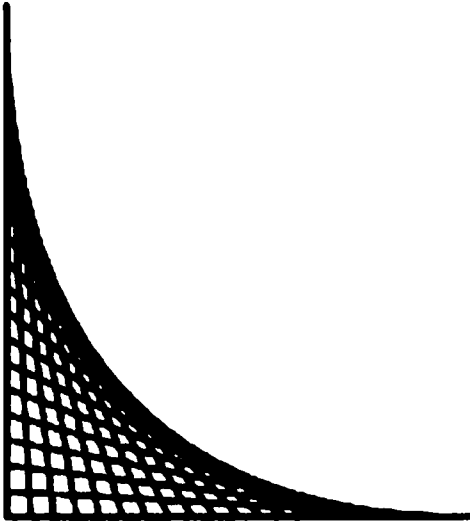


صورة الورقة الأخيرة من المخطوط



متن الصلاة الكبرى

**للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي
الحاتمي الطائفي**



سورة الاحقاف

اللَّهُمَّ أَفْضُ صِلَةٍ صَلَوَاتِكَ وَسَلَامَةٍ تَسْلِيمَاتِكَ عَلَى:
 أَوَّلِ الثَّغِينَاتِ الْمَفَاضَةِ مِنَ الْعِمَاءِ الرَّبَّانِيِّ،
 وَآخِرِ التَّنْزِلَاتِ الْمُضَافَةِ إِلَى النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ، الْمُهَاجِرِ مِنْ مَكَّةَ «كَانَ اللَّهُ
 وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ ثَانٍ»،
 إِلَى مَدِينَةِ «وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ»،
 مُخَصِّي عَوَالِمِ الْحَضَرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْخَمْسِ فِي وُجُودِهِ «وَكُلُّ شَيْءٍ لَخَصْبَتُهُ فِي
 إِمَّاوُ ثَبِينٍ» [يس: الآية 12]،
 وَرَاجِمِ سَائِلِي اسْتِغْدَادَاتِهَا بِبَنَاءِ وَجُودِهِ⁽¹⁾ «وَمَا لُرْسُكَ إِلَّا رَحْمَةٌ
 لِّلْمَلَكُوتِ» [الأنبياء: الآية 107]،
 نُقْطَةِ الْبَسْمَلَةِ الْجَامِعَةِ لِمَا يَكُونُ وَلِمَا كَانَ،
 وَنُقْطَةِ الْأَمْرِ الْجَوَالَةِ بِدَوَائِرِ الْأَكْوَانِ،
 سِرِّ الْهُوِيَّةِ الَّتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ سَائِيَةٍ،
 وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ مُجَرَّدَةٌ وَهَارِيَّةٌ،
 أَمِينِ اللَّهِ عَلَى خَزَائِنِ الْفَوَاضِلِ وَمُسْتَوْدِعِهَا،
 وَمُقْسِمِهَا عَلَى حَسَبِ الْقَوَابِلِ وَمُوزَعِهَا،
 كَلِمَةِ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ،

(1) وفي نسخة ورد عبارة [بَنَاءِ وَجُودِهِ] بدل [بَنَاءِ وَجُودِهِ].

وفاتحة الكثر المطلق،
المظهر الأتم،
الجامع بين العبودية والرؤية،
والنشأة الأعم الشامل للإمكانية والخضرات الوجودية،
الطود الأسم الذي لم يُزخره تجلّى عن مقام التمكين،⁽¹⁾
والبخر الخضم الذي لم تُفكره جيف الغفلات عن صفاء اليقين،
القلم الثوراني الجاري بمداد الحروف العاليات،
والنفس الساري بمواد الكلمات الثامات،
الفيض الأقدس الذاتي الذي تعيّن به الأعيان واستعداداتها،
والفيض المقدس الصفاتي الذي تكوّن به الأكوان واستعداداتها،
مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات،
ومتج نور الإفاضات في رياض النسب والإضافات،
خط الوحدة بين قوسي الأحيية والواحيية،
وواسطة التنزل الإلهي من سماء الأزلية إلى الأرض الأبدية،
النسخة الصغرى التي تفرغت عنها الكبرى،
والذرة البيضاء التي تنزلت إلى الباقوة الحمراء،
جوهر الحوادث الإمكانية التي لا تخلو عن الحركة والسكون،
ومادة الكلمة الفهوانية الطالعة من كنه كُن إلى شهادة فيكون،
هيولى الصور التي لا تتجلّى بأحد إلا مرة ولا تتجلّى بأحد في عمره
مرتين أو بإحداها لاثنين،
ولا بصورة منها لأحد مرتين،
قرآن الجمع الشامل للممتنع والعليم،

(1) وفي نسخة ورد كلمة [التمكين] بدل [التمكن].

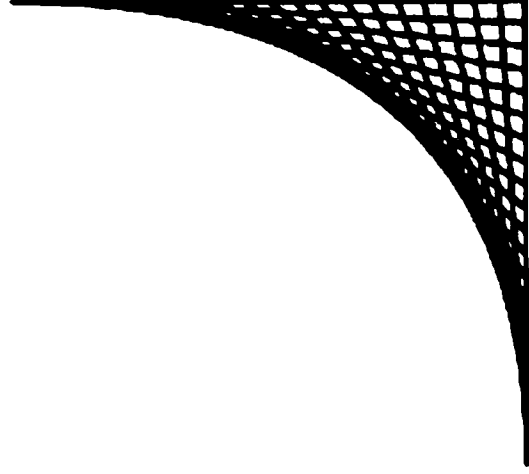
وَفَرَقَانِ الْفَرْقِ الْفَاصِلِ بَيْنَ الْحَادِثِ وَالْقَدِيمِ،
 صَائِمِ نَهَارٍ «أَنْتِي أَيْتُ عِنْدَ رَبِّي»،
 وَقَائِمِ لَيْلٍ «تَنَامُ عَيْتَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»،
 وَابْطِئَةَ مَا بَيْنَ الْوُجُودِ وَبَيْنَ الْعَدَمِ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقَاَانِ ۝١٨﴾ [الرَّحْمَنُ:
 الْآيَةُ 19]، وَدَابِطَةَ تَعَلَّقِي الْحُدُوثَ بِالْقِدَمِ ﴿يَتَّبِعُنَا بِرِزْقٍ لَا يَمُوتُ ۝١٩﴾ [الرَّحْمَنُ:
 الْآيَةُ 20]،

فَذَلِكَ دَقِيقُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ،
 وَمَرْكَزُ إِحَاطَةِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ،
 خَبِيرِكَ الَّذِي اسْتَجَلَيْتَ بِهِ جَمَالَ ذَاتِكَ عَلَى مَنَصَّةِ تَجَلِّيَاتِكَ،
 وَنَضْبَتُهُ قِبْلَةٌ لِتَوَجُّهَاتِكَ فِي جَامِعِ تَجَلِّيَاتِكَ،
 وَخَلَقْتَ عَلَيْهِ جِلْمَةَ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ،
 وَتَوَجَّهَتْ بِتَاجِ الْخِلَافَةِ الْعُظْمَى،
 وَأَسْرَنْتَ بِجَنَسِهِ بِقُطْبَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْخَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى،
 حَتَّى انْتَهَى إِلَى بِلْدَةِ الْمُتَنَهَى،
 وَتَرَفَّقَى إِلَى مِثْلَةِ ﴿كَأَنَّ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النَّجْمُ: الْآيَةُ 9]،
 فَأَسْرَ فُرَادَةً بِشُهُودِكَ حَيْثُ لَا صَبَاحَ وَلَا مَسَاءَ،
 وَأَقْرَ بَصْرَةً بِوُجُودِكَ حَيْثُ لَا خَلَاءَ وَلَا مَلَأَ،
 ﴿مَا زِلَّكَ الْهَرَّةُ وَمَا كُنَّ ۝١٧﴾ [النَّجْمُ: الْآيَةُ 17].
 صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً يَصِلُ بِهَا قُرْبِي إِلَى أَصْلِي،
 وَيَصِلُ بَغَضِي إِلَى كُلِّي،
 لِتُجِدَ ذَاتِي بِذَاتِهِ،
 وَتُشْعِدَ صِفَاتِي بِصِفَاتِهِ،
 وَتَقَرُّ الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ،

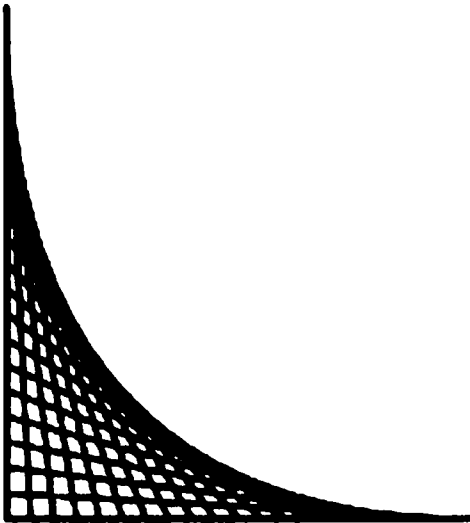
وَيَقْرُ الْيِّنُ مِنَ الْيِّنِ،
 وَسَلَّمْ عَلَيْهِ سَلَاماً أَسَلَّمَ بِهِ فِي مُتَابَعَتِهِ مِنَ التَّخَلُّفِ،
 وَأَسَلَّمَ فِي طَرِيقِ شَرِيعَتِهِ مِنَ التَّعَسُّفِ،
 لَأَفْتَحَ بَابَ مَحَبَّتِكَ لِأَيِّ بِمِفْتَاحِ مُتَابَعَتِهِ،
 وَأَشْهَدُكَ فِي حَوَائِجِي وَأَعْضَائِي مِنْ مِشْكَاةِ شَرْحِهِ وَطَاعَتِهِ،
 وَأَدْخُلْ وَرَآءَهُ إِلَى جِصْنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
 وَأَدْخُلْ فِي إِثْرِهِ إِلَى خَلْوَةٍ لِي وَقْتُ مَعَ اللَّهِ،
 إِذْ هُوَ بَابُكَ الَّذِي مَنْ لَمْ يَقْضِمْكَ مِنْهُ سُدَّتْ لَهُ الطُّرُقُ وَجَمِيعُ الْأَبْوَابِ،
 وَرَدُّ بَعْضِ الْأَدَبِ إِلَى إِسْطِطِلِ الدُّوَابِّ،
 اللَّهُمَّ يَا رَبَّ يَا مَنْ لَيْسَ جِجَابُهُ إِلَّا النُّورُ،
 وَلَا خَفَاؤُهُ إِلَّا شِدَّةُ الظُّهُورِ،
 أَسْأَلُكَ بِكَ فِي مَرْتَبَةِ إِطْلَاقِكَ عَنْ كُلِّ تَقْيِيدٍ،
 الَّتِي تَفْعَلُ فِيهَا مَا تَشَاءُ وَتُرِيدُ،
 وَبِكَشْفِكَ مِنْ ذَاتِكَ بِالْعِلْمِ التُّورِيِّ،
 وَتَحْوِيلِكَ فِي صُورِ أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ بِالْوُجُودِ الصُّورِيِّ،
 أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَكْمَلُ بِهَا بَصِيرَتِي بِالنُّورِ الْمَرْشُوشِ فِي
 الْأَزْلِ،

لَأَشْهَدَ فَنَاءَ مَا لَمْ يَكُنْ وَبَقَاءَ مَا لَمْ يَزَلْ،
 فَأَرَى الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ فِي أَصْلِهَا مَعْدُومَةٌ مَفْقُودَةٌ،
 وَكَوْنُهَا لَمْ تَشْمُ رَايِحَةَ الْوُجُودِ فَضْلاً عَنْ كَوْنِهَا مَوْجُودَةً،
 وَأَخْرِجْنِي اللَّهُمَّ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنْ ظُلْمَةِ أَنَايَتِي إِلَى النُّورِ،
 مِنْ قَبْرِ جِسْمَانِيَّتِي إِلَى جَمْعِ الْحَشْرِ وَفَرْقِ النُّشُورِ،

وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ سَمَاءِ تَوْجِيدِكَ إِيَّاكَ،
 مَا تُظَهِّرُنِي بِهِ مِنْ رَجَسِ الشُّرْكِ وَالْإِشْرَاقِ،
 وَأُنْعِشْنِي بِالْمَوْتَةِ الْأُولَى وَالْوِلَاقَةِ الثَّانِيَةِ،
 وَأُخَيِّنِي بِالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْغَائِيَةِ،
 وَاجْعَلْ لِي نُورًا أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ،
 فَأَرَى بِهِ وَجْهَكَ أَيْنَمَا تَوَلَّيْتُ بِدُونِ إِشْتِيَائِهِ وَلَا اتِّبَاسٍ،
 نَاطِرًا بِعَيْنِي الْجَمْعَ وَالْفَرْقَ،
 فَاصِلًا بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ،
 قَالًا بِكَ عَلَيَّ،
 وَهَادِيًا بِإِذْنِكَ إِلَيْكَ،
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ،
 وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَقْبَلُ بِهَا دُعَائِي،
 وَتُحَقِّقُ بِهَا رَجَائِي،
 وَعَلَى آلِهِ الْإِسْهَادِ وَالْعِرْقَانِ،
 وَأَصْحَابِهِ أَصْحَابِ الذُّوقِ وَالْوُجْدَانِ،
 مَا انْتَشَرَتْ طَرَّةُ لَيْلِ الْكِيَانِ،
 وَأَسْفَرَتْ غُرَّةُ جَبِينِ الْعِيَانِ،
 آمِينَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ،
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



الخطبة
ومقدمة الشارح



سيرة الإمام

الحمد لله شارح معاني الصدور وميسر مباني السطور، وفاتح أبواب ما انغلق من الأمور. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، كاشف الظلمات بالنور، ومزيل الغيبة بربه عن قلوب المؤمنين بكمال الحضور، وعلى آله وأصحابه، شמוש الحقائق الإلهية، وبدور المعارف الربانية، أكمل شמוש وبدور، وعلى التابعين لهم، وتابع التابعين بخير وإحسان إلى يوم الدين ما هبت نسائم الأرواح، فحركت الأغصان من أجساد الأرواح، وتفتت الطيور.

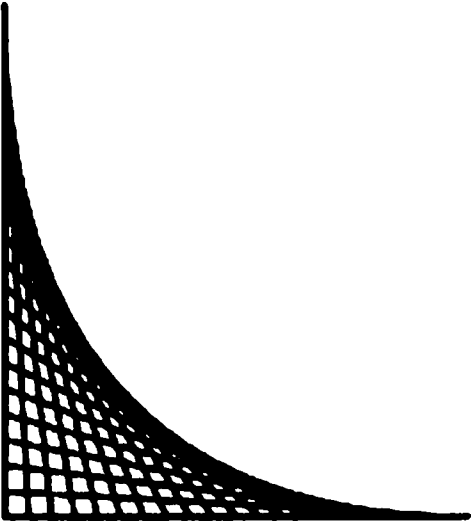
أما بعد، فيقول عبد الحضرة، وثمره الفطرة، عبد الغني بن النابلسي الشامي - أتخفه الله بالقبول والحضور في المقام السامي - ورد علينا وارء من بعض المحبين في بلاد الروم شرح الصلاة المحمدية المنسوبة إلى بحر الحقائق والعلوم، وكثر المعارف الرحمانية تحت جدار الفهوم، شيخ الأسرار، ومعدن الأنوار، محيي الدين بن محمد بن علي الحاتمي الأندلسي الملقب بالشيخ الأكبر، خطيب الحضرة الربانية في جامع المعرفة الإلهية على أرفع منبر - فتنس الله تعالى سره، وجعل في إشادة غيب الغيوب رجوعه ومقره - وسميته ورد الورد وفيض البحر المودود.

وأسأل الله تعالى كمال الإمداد، بجلال القبول وجمال الاستعداد، إنه البر الرحيم، نعم الوكيل: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: الآية 4].



شرح

الشيخ عبد الغني النابلسي
على الصلاة الكبرى
للشيخ الأكبر
محيي الدين ابن عربي



(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

اسم الله الذاتي جامعٌ للصفات والأسماء، والرحمة صفة ذاتية وسعت كل شيء بحكم قوله تعالى: ﴿وَدَخَمَنِي وَمِيعَتَ كُلِّ قَوْمٍ﴾ [الأعراف: الآية 156]، وهي رحمة الرحمن ﴿فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: الآية 156] الآية، خُصص الله تعالى بها عباده المؤمنين المتقين فكتبها على نفسه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَى قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: الآية 54] وكتبها في قلوبهم ﴿لَوْ لَيْتَكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: الآية 22]، والكتابة واحدة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القدسي: «ما ويسعني سَمَواتي ولا أرضي وويسعني قلبُ عبدي المؤمن»^(١)، ولهذا اختص تعالى بالاسم الرحمن ولم يختص بالاسم الرحيم.

(اللَّهُمَّ) أي يا الله، والميم المشددة في الآخر قائمة مقام حرف النداء في الأول الياء والألف، فياء المتكلم تظهر ألف اللات، والميم المشددة ميمان في اسم محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، فانتقلت الميم الأولى إلى الثانية وأدغمت فيها، فوقع التشديد، وهو التكليف لمن لم يقدر على شيء مما كسب، قال تعالى:

﴿لَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ عَلَى قَوْمٍ مِمَّا كَفَبُوا﴾ [البقرة: الآية 264] فلو أسلموا أسلموا والكلام يطول في هذا المقام.

(أَلْفِضْ) أي: أظهر فيضك القديم على هذا العديم، وإلا فجميع أفعال الله

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2256) [2/ 255] وفيه لفظ [سماني] بدل [سماواتي].

تعالى قديمة⁽¹⁾، والكائنات جميعها مترتبة في حضرة علم الله تعالى على حسب هذا الظهور⁽²⁾.

(جِلَّة) أي: عطية وهبة من خالص الكرم الإلهي والفضل الرباني.

(صَلَوَاتِكَ) جَمْعُ صلاة، والصلاة من الله تعالى الرحمة⁽³⁾.

(وَسَلَامَةً) أي: صحة وقوة.

(تَسْلِيمَاتِكَ) جمع تسليمة، وهي التقيّة من الرذائل، أي: رذائل الأخلاق

وقبائح الأعمال.

(هَلَى أَوَّلِ التَّعَيِّنَاتِ) جمع تعيّن، وهو الصورة المفروضة المقدّرة

المخلوقة من قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُفِعَهُ لَدْرًا﴾ [الفرقان: الآية 2].

فسّر تعالى الخلق بالتقدير، والتقدير هو فرض وجود الشيء بمعنى ثبوته

لا نفيه، فالثبوت ضدّ النفي، فالعوالم كلها ثابتة لا منفية، وما هي موصوفة

بالوجود إلّا عند الغافلين من أهل الأوهام، ولم يرد في القرآن ولا في السنّة أنّ

شيئاً من الأشياء موجود، وإنما الوارد أنه تعالى يمحو ما يشاء ويثبت.

وقال تعالى: ﴿يُخَيِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الْقَاسِيِينَ﴾ [إبراهيم: الآية 27] أي: الذين يدعون الوجود

لأنفسهم ولغيرهم، والوجود كله لله تعالى وحده، والكلّ لهم الثبوت

لا الوجود، وهي وحدة الوجود عند أهل الحضور والشهود، ﴿وَيَقْعَلُ اللَّهُ مَا

(1) أفعال الله تعالى قديمة من حيث تعلق القدرة الصلوحية القديم أي القدرة سالحة من

القدم لإخراج المعلومات من العدم إلى الوجود. وللقدرة تعلق ثان هو التعلق التجيزي

الحادث وهو إخراج الأشياء بالفعل من العدم (الغيب) إلى الوجود أي عالم الشهادة.

(2) أي علم الله تعالى يكشف ترتيب المعلومات على ما هي عليه، والإرادة تخصصها بما

يجوز عليها والقدرة تبرز أي تظهر ما كشفه العلم وخصصته الإرادة إلى عالم الشهادة

وهنا عند علماء الكلام وعند علماء الإحسان الله تعالى يتجلى بنوره بما علم بمقتضى

اسم الله تعالى الظاهر والشؤون الإلهية الذاتية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هُوَ فِي

قُلُوبِ﴾ [الرّحمن: الآية 29].

(3) ومن الملائكة استغفار ومن العبادة دعاء.

يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: الآية 27]، وكلهم لا يفعلون شيئاً، لأن كل شيء هالك ثابت بلا وجود إلا وجهه تعالى، وهو الوجود الذي قام به كل شيء ولم يتصف به شيء، وإنما اتصف الشيء بالثبوت فقط دون النفي.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَوَرَّكُنَا وَالْأَرْضِ﴾ [التور: الآية 35] أي: منورهما بنوره، أي مظهرهما بوجوده، وهما في الثبوت دون النفي، والوجود كله له تعالى لا شيء سواه، وهي المعية الإلهية المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الأنبياء: الآية 4]، وقوله تعالى: ﴿وَصَكَاتُ اللَّهِ يَكُلُّ شَيْءًا حُيُوتًا﴾ [النساء: الآية 126]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَوْزُبْ إِلَهُ مِنْ حَلِي الْوَيْدِ﴾ [ق: الآية 16].

وكون محمد صلى الله عليه وسلم أول التعينات، لأن الحق تعالى - وهو الوجود المطلق - منزّه مقدس أزلاً وأبداً عن التعين، فلا تعين له مطلقاً حتى إنه منزّه عن تعين الإطلاق، فلا يُعرف أصلاً، وهذا التعين المحمدي أثبتته الله تعالى بقوله الثابت في نفس وجوده تعالى الوجود الحق، فلم يكن قبله تعين أصلاً، وهو حضرة علم الله المحيط بكل شيء: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 88] أي: إلا ذاته سبحانه التي لا تعين لها: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الزمر: الآية 26 - 27] أي: ذاته سبحانه، ثم ظهر تجليه تعالى الأزلي، فظهرت التعينات المندرجة في التعين الأول بعد ظهور التعين الأول.

(المُفَاضَةُ) صفة للتعينات على حسب ترتيبها في الأزل، وهو تقدّم بعضها على بعض، وتأخر بعضها على بعض ترتيباً قديماً بلا فعل فاعل، لأن الصفة العلم لله تعالى صفة قديمة، وكذلك معلومات العلم قديمات في العلم، إذ لولاها لم يكن العلم علماً، وكلها ثابتة لا متغيرة بلا وجود لها أصلاً، وهذه الإفاضة قديمة، وما ظهرت إلا بالتجلي القديم، وتأخر الحوادث بسبب الترتيب القديم: ﴿وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا حُيُوتًا﴾ [البقرة: الآية 282].

(بِئْسَ الْعَمَاءُ) هو السحاب الرقيق، قال في المصباح: العماء مثل السحاب وزناً ومعنى، وقال أبو زيد: هو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال، شبه به النبي صلى الله عليه وآله وسلم حضرة الله تعالى في علمه القديم المحيط بكل

شيء، وذلك أنهم قالوا: أين كان الله قبل أن يخلق العرش؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كَانَ فِي جَمَاءَ لَيْسَ فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ»⁽¹⁾.

لأنَّ العماء الذي تعرفه العرب سحاب رقيق كال دخان فوقه هواء وتحت هواء مثل السحاب المعروف عندهم، وهذا العماء كناية عن حضرة علمه تعالى المحيط بكل شيء، وذات الله تعالى الموصوفة بالعلم القديم المحيط بكل شيء معلومة له تعالى بعلمه بكل شيء.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۖ﴾ [الفجر: الآية 49] في قراءة رفع كل على الخبرية، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 88] أي: إلا ذاته في كل شيء هالك لك، فلا شيء مع الله تعالى أزلاً وأبداً، وإنما الأشياء ثابتة، لا منفية ولا موجودة، والوجود كله هو الله تعالى الحق الحقيقي المنزه عن جميع المخلوقات الثابتة الهالكة المعدومة، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كَانَ فِي جَمَاءَ» يعني: ولم يزل في جماء، فإن «كان» في حقه تعالى للدوام والاستمرار، وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك المعنى بقوله: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ»⁽²⁾ وهو الآن على ما عليه كان.

(الرباني) صفة للعماء المنسوب إلى الرب تعالى، وهو الذي يرى في الدنيا والآخرة دون بقية الأسماء حضرة أسمائه تعالى، قال تعالى: ﴿يُؤْتِيهِمْ تَنْزِيلًا ۖ﴾ [النار: ١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 22، 23]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: الآية 15]، وقال تعالى عن موسى عليه السلام

(1) ورد بلفظ: «أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال: كان في جماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء». رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الأخبار عما كان الله فيه قبل خلقه السماوات والأرض، حديث رقم (6141) [8/14] ورواه الترمذي في سننه، باب ومن سورة هود، حديث رقم (3109) [288/5] ورواه غيرهما.

(2) صح بلفظ: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء» الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، حديث رقم (3019) [3/1166] ورواه غيره.

إنه قال: ﴿رَبِّ أَوْفِقْ أَنْظِرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: الآية 143]، وقال ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَيْبَكُمْ».

(وَأَخْبِرْ) معطوف على أول.

(التَّنَزُّلات) جمع تنزّل بالتشديد، والتنزّل: الحادث عندنا القديم عنده تعالى كما قال سبحانه: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: الآية 96].

وسبب تغير هذا التنزّل وحدوثه وفنائه الترتيب القديم في المعلومات الإلهية، وإنما تُكرّر هذه المعاني في تعريف العلم الإلهي لدعوتنا إلى الله على بصيرة حتى يتحقّق ذلك في قلوب المؤمنين متابعاً لرسول الله ﷺ، كما ورد عنه ﷺ إذا تكلم بكرّر كلّ كلامه ﷺ، ثلاث مرات ليحفظ عنه ويُجهر به⁽¹⁾.

(المُضَافَةُ) أي: المنسوبة، كما هي كذلك في حضرة العلم الإلهي القديم، وهذا معنى أن الله تعالى خلق من نوره ﷺ جميع المخلوقات، يعني في حضرة العلم وفي حضرة الكون قديماً وحدثاً، باطناً وظاهراً⁽²⁾.

(1) أشار إلى ذلك ابن حزم الظاهري في المحلّي، مسألة فرض على كل أحد من الرجال والنساء... [105/10].

(2) يشير إلى الحديث الذي رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ قال: قلت يا رسول الله ﷺ بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنّ ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السماوات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ كذا في المواهب. وقال فيها أيضاً: واختلف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا؟ فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني: الأصح أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «قدّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء». (انظر كشف الخفاء للعجلوني، حديث رقم (827) [311/1]).

(إلى النوع الإنساني) أي: المنسوب إلى الإنسان، يعني: على معنى التنزلات الكاملة الفاضلة من ذلك، اختص بها النوع الإنساني من دون بقية الأنواع الكونية، فإن آدم عليه السلام هو أول هذا النوع الإنساني، وفريته نسخ منه، فمنهم كامل الإنسانية، ومنهم الناقص الذي استولت عليه الحيوانية، فترك اللذائذ الروحانية، وتبع الشهوات الجسمانية.

وهو ﷺ النوع الإنساني الكامل^(١)، وورثته ملحقون به في معنى كماله ومبنى جلاله وجماله، لأنهم أصحاب بصائر بركة متابعتهم له، قال تعالى له ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: الآية 108].

(المهاجر) ﷺ أي: النازل وطنه الأصلي الذي ولد فيه بين أهله، قال في المصباح^(٢):

«مجرته هجراً من باب قتل: تركته ورفضته، والهجرة بالكسر مفارقة بلد إلى غيره، فإن كانت قرية فهي الهجرة الشرعية، وهي اسم من هاجر مهاجرة». (من مكة) شرفها الله تعالى، قال في المصباح: وقيل فيها: بكة على البدلية، وقيل: بالباء للبيت والميم مما حوله، وقيل: بالباء باطن مكة، وقد أضاف مكة إلى قول النبي ﷺ.

(كان الله) أي: وجد وجوداً حقيقياً مشهوداً له ﷺ.

(ولم يكن) أي: لم يوجد.

(معه) تعالى (شيء فان)، لأن ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية ٢٨] أي: إلا ذاته، أي إلا وجوده الحق، وكل شيء باطل، كما قال ﷺ:

(١) مصداقاً لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» رواه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین، ذکر أخبار سید المرسلین وخاتم النبیین، حدیث رقم (4189) [2/ 660] ورواه ابن ماجه في سننه، باب ذکر الشفاعة، حدیث رقم (4308) [2/ 1440].
(٢) المصباح المنیر لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي.

«أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَايِرُ كَلِمَةٍ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الأنبياء: الآية 81]، فلما هاجر النبي ﷺ من مكة إنما هاجر من بلاد فيها خلق من خلق الله تعالى، فهاجر من كل شرّ هالك من البلاد وأهلها الفانين، لأنه هاجر من الوجود الحقّ الحقيقي الذي كل شيء ظاهر بنور وجوده.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ الْمُسْتَوْنِ وَالْأَرْضِ﴾ [التور: الآية 35].

وقال تعالى من يوم القيامة الذي يكون فيه الكشف التام: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: الآية 69].

(إلى مدينة) وهي يثرب المدينة المنورة.

قال في المصباح: «ثرب عليه يثرب من باب ضرب: عتب ولام، ويمضارع الغائب سمي رجل من العمالقة، وهو الذي بنى مدينة النبي ﷺ فسُميت باسمه.

قال السهيلي⁽²⁾: ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: الآية 92]، وأصل المدينة: المصر الجامع».

وقال في القاموس⁽³⁾: «والنسبة إلى المدينة مدينة النبي ﷺ مدني، وإلى

-
- (1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، حديث رقم (2256) [4/1768] ورواه أحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (10076) [2/470] ورواه غيرهما.
 - (2) هو عبد الرحمن السهيلي (508-581 هـ) (1114-1185 م) عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد بن أصبغ الخثعمي، السهيلي، الأندلسي، المالكي، الضرير (أبو القاسم، أبو زيد، أبو الحسن) مؤرخ، محدث، حافظ، نحوي، لغوي، مقري، أديب. ولد بسهيل، وأخذ عن ابن العربي وغيره ونمي خبر نبوغه إلى مراکش، فطلبه واليها وأحسن إليه وأقبل عليه، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام، وتوفي بها في شعبان. من مؤلفاته: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، القصيدة العينية، الروض الأنف في شرح تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام، نتائج النظر ومسألة رؤية الله عز وجل في المنام ورقية النبي ﷺ، وشرح الجمل للزجاجي في النحو لم يتم، وله أشعار كثيرة. (معجم المؤلفين [5/147]).
 - (3) في القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

مدينة المنصور وأصفهان مديني وغيرهما.

ثم المدينة التي هاجر إليها النبي ﷺ إلى بقية قول النبي ﷺ في الحديث المأثور.

(وَهُوَ) أي: الله تعالى.

(الآن) أي: في كل وقت حال، دون وقت ماض ووقت مستقبل، لأنهما فانيان مع أهلها جميعاً، فإنّ الوقت الحال بالنسبة إلى الله تعالى لا يتغير أصلاً، وإن تغير بالنسبة إلى ترتيب المعلومات الإلهية بعضها على بعض، وهو معنى التجلي الرباني الذي هو معرفة العارفين بربهم، وهو عندهم المحسوس بالحواس الخمس:

السمع، والبصر، والذوق، والشم، واللمس، لا هو معقول عندهم، أي مربوط بصورة عقلية كما هو عند العقلاء من أهل الغفلة الجاهلين بالله تعالى.

(عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ) قديماً في الأزل، وهو الوجود الحقيقي المطلق الخالص المنزه المقدس عن جميع معلوماته القديمة المعدومة في نفسها، الثابتة بإثباته في علمه على ما هي عليه في ترتيبها القديم، ولا يُظهرها إلا تجلياً، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٠١﴾ [الحديد: الآية 3]، فمعلوماته مظهرة لعلمه، وعلمه مظهر لذاته بمعلوماته، غير هذا لا يصح أبداً، فمن رأى معلوماته فلم يره فهو أعمى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ آفَاتٌ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَقْمَنَ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٧١﴾ [الاسراء: الآية 72].

وما أحسن قول العارف الكامل العالم العايل شرف الدين همر بن الفارض قلنس الله تعالى سره:

تَراهُ إِنَّ غَابَ عَنِّي كُلُّ جَارِحَةٍ	فِي كُلِّ مَعْنَى لَطِيفٍ زَائِقٍ بَهْجٍ
فِي نَعْمَةِ الْعَوْدِ وَالنَّائِي الرَّجِيمِ إِذَا	تَأَلَّفَا بَيْنَ أَلْحَانٍ مِنَ الْهَرَجِ
وَفِي مَسَارِحِ خُزْلَانِ الْخَمَائِلِ فِي	بَرْدِ الْأَصَائِلِ وَالْإِضْبَاحِ فِي الْبَلَجِ
وَفِي مَسَاقِطِ أَنْدَاءِ الْغَمَامِ عَلَى	بَسَاطِ نُورٍ مِنَ الْأَزْهَارِ مُنْتَسِجِ

وفي مَسَاجِبِ أَذْيَالِ النَّسِيمِ إِذَا أَهْدَى إِلَيَّ سُخَيْرًا أَطْيَبَ الْأَرْجِ
وفي الثَّامِي ثَغَرَ الْكَاسِ مُرْتَشِفًا رَيْقَ الْمُدَامَةِ فِي مُسْتَنْزِهِ فَرَجِ
فقد أخبر - قدس الله سره - أن الحق تعالى من حيث ذاته غائب عنه، فهو
تعالى لا يدرك ولا يترك، لأنه الحي القيوم على كل ما سواه.
وأخبر أنه يراه في كل شيء، لأن ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصم:
الآية 88].

وذكر من الأشياء المحسوسات بالحواس الخمس ما هو الحسن الجميل
الذي هو مظهر الجمال، ولم يذكر ما هو مظهر الجلال، لأن القلوب لا تنعشق
إلا بمظاهر الجمال الرباني المكشوف للحواس الخمس بكل لطيف روحاني،
ظاهر في كثيف جسماني.

وهذه هي رؤية الحق تعالى عند المحققين من أهل العرفان، وكل شيء
فان، هذا الشاهد المفرد:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ لَيْسَ فِي الْكَوْنِ أَحَدٌ

(مُخَصِّي) أي: هو ﷻ من الإحصاء وهو العلم الجامع.

قال في المصباح: «أحصيت الشيء: علمته، وأحصيته: أطقته».

فهو ﷻ محصي أي: عالم مطلق على حضرة ربه في مقام شهوده، لا
يعتره غفلة عنه إلا في مقام التبليغ.

كما كان يقول ﷻ: «إِنَّهُ لَهْفَانٌ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ
سَبْعِينَ مَرَّةً»^(١)، وهذا هو غين الأنوار لا غين الأخبار، وإليه الإشارة بقوله
تعالى: ﴿إِنَّا قَرَأْتَ﴾ [الشرح: الآية 7] أي: من تبليغ ما أنزل إليك من ربك ﴿فَلَنْصَبَ
٧ وَلَئِنْ رَأَيْتَكَ مُرْتَبِّبًا ٨﴾ [الشرح: الآيتان 7، 8].

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم
(2702) [4/2075] ورواه أبو داود في السنن، باب في الاستغفار، حديث رقم
(1515) [2/84] ورواه غيرهما.

(عوالم) جمع عالم - بفتح اللام - سمي بذلك لأن به يعلم الحق تعالى نفسه، ويعلمه غيره به أيضاً، وشهوده لا يكون إلا بالعوالم من جهة وجه الله تعالى لا جهة نفس العوالم.

(الحضرات الإلهية) جمع حضرة، وهي ما يحضر الحق تعالى به من عوالم الإمكان بحيث يغيب العبد عن شهود نفسه وغيره، ويحضر عنده ربه متجلياً بكل شيء.

(الخمس) صفة للحضرات، وأولها صفة وجوده، الجامعة لصفة حياته، وصفة علمه، وصفة إرادته، وصفة قدرته، وهي حقائق ربانية ليس لغيره تعالى على الحقيقة شيء منها غير مجرد الظهور، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 28]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: الآية 26]، فلا وجود لشيء وإنما هو حضرة ظهور الوجود القديم.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَتْلُمُ وَأَتَمُّ لَا تَحْلُوتُ﴾ [البقرة: الآية 216]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَلِيتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الملك: الآية 26] فعلم العبد مجرد ظهور علم ربه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: الآية 30]، فلا حياة لغير الله تعالى وإنما هي ظهور حياة الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: الآية 30]، فمشيئة كل عبد هي مشيئة الله تعالى وهي إرادته ظهرت على عبده، قال تعالى: ﴿لَا يَتَذَكَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَا كَسَبُوا﴾ [البقرة: الآية 264]، وإنما هي قدرة الله تعالى حضرت بظهورها على عبده.

(في وجوده) أي: كل ذلك حاضر في مجرد وجود الله تعالى، لأن صفاته تعالى وأسماء عين ذاته، المتوجهة على علمه بمعلوماته وخلق مخلوقاته، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء الهالكة إلا وجه الله ﴿لَمْ يَتَغَيَّرْ﴾ ولهذا هو محصي عوالم الحضرات الخمس في وجوده ﴿إِنْ إِمَامٍ﴾ أي: مقتدى

به ظاهراً وباطناً ((ثُبِين)) ليس: الآية 12] أي يبين للناس ما نزل إليه من ربه، فإن كتمان شيء من ذلك ممنوع عنه ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: الآية 67]، والورثة المحمديون ممنوعون أيضاً عن الكتمان بعد ما أبان الله لهم الحق في القرآن.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُكْمِ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَيَبَيِّنُوا﴾ [البقرة: الآيتان 159، 160]، وإن كان المراد من الكتاب التوراة والمنهي عن أهلها، لكن الأصل عموم الحكم لا خصوص السبب.

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: الآية 179]، يا أولي الأبصار مما وقع لأهل الكتاب.

(وراجع) أي: هو ﷺ نبي الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء.

(سائلي) أي: سائلين، وحذفت النون للإضافة إلى⁽¹⁾.

(استعداداتها) أي: استعدادات عوالم الحضرات، فإن الحضرات العلمية القديمة لها ترتيب في حضرة العلم الإلهي القديم، هو استعدادها لظهورها.

وحقيقة الوجودية له ﷺ هي التي تعطي كل سائل ما استعد له من الأحوال من الظهور، ولهذا ورد: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مِنْ نُورِهِ كُلَّ شَيْءٍ»⁽²⁾.

(بنيانه وجوده) ﷺ، وهو وجود الحق تعالى القويم عليه به، أي: بكرمه الفياض، وهو منادي فيض القدس على كل نفس، قال تعالى عن أهل الإيمان، إنهم قالوا في الحضرة العلمية قولاً ظاهراً بهم في الحضرة الكونية:

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران:

الآية 193].

(1) إلى استعداداتها.

(2) هذا الحديث سبقت الإشارة إليه وهو حديث سيدنا جابر رضي الله عنه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الأنبياء: الآية 107] يا محمد لأمتك .

﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ [الأنبياء: الآية 107] منّا .

﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ [الأنبياء: الآية 107] وهم عوالم الحضرات العلميّة ثم الكونية .

(نُقْطَةُ الْبِسْمِلَةِ) أي: هو ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا إِشْرَافٌ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: الآية 40]، والأمر واحد متوجّه على كل شيء، وهو وجه الله الذي ﴿كُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ إِلَّا رَحْمَةً﴾ [الفصّص: الآية 88]، وهو كلمح البصر من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كُلُّهَا بِالبَصَرِ﴾ [الفجر: الآية 50]، وهي اللعة المحمدية، والنقطة الكونيّة، وهي نقطة الباء، بها تعرف الباء .

والباء حرف إلهي من الانحراف وهو التوجّه، والحروف كلها انحرافات إلهيّة بمعلومات كونيّة لها وجهان:

1 - وجه إلى الرب .

2 - ووجه إلى العبد .

العبد معلوم ذلك عند أهله، والنقطة الكونيّة تحت الباء مميّزة لها، جامعة لأسرارها .

قال العارف الكامل أبو بكر الشبلي قدّس الله سرّه: «أنا نقطة الباء» .

وقالوا: «إن القرآن كله مجموع في الفاتحة لأنها أم الكتاب، والفاتحة مجموعة في البسملة، والبسملة مجموعة في الباء، والباء مجموعة في النقطة»⁽¹⁾ .

وذلك لأنه لولا النقطة ما عرفت الباء، ولولا الباء ما عرفت الأكوان، قال تعالى: ﴿أَنزَلْنَاهُ يُولُودًا﴾ [النساء: الآية 166]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَّغْنِي أَمْرِي﴾

(1) يرد في كتب السادة الصوفية على أنه حديث شريف بلفظ: «كل ما في القرآن في الفاتحة وكل ما في الفاتحة في البسملة وكل ما في البسملة في الباء، وكل ما في الباء في النقطة التي تحت الباء» .

وَلَمَّا تَزَلَّ ﴿[الإسراء: الآية 105]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الجبر: الآية 85]، ولولا الأكوان ما عرف القرآن، ولولا القرآن ما عرف الله تعالى.

(الْبَاقِيَةُ) وصف للنقطة والبسملة.

(لَمَّا يَكُونُ) أي: يظهر بوجود الحق تعالى من كل شيء.

(وَلَمَّا كَانَ) أي ظهر بالوجود وبطن به.

(وَنُقْطَةُ الْأَمْرِ) الواحد الإلهي، وهي نقطة البسملة إلا أنها إذا بطنت فهي الأمر، وإذا ظهرت فهي الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية 54].

(الْجَوَالِيَّةُ) وصف لنقطة الأمر، صيغة مبالغة من الجولان، قال في المصباح:

«جال القوس في الميدان بجول جولة وجولاناً قطع جوانبه، والجول: الناحية، والجمع أجوال مثل قفل وأقال».

فكان المعنى: قطع الأجوال - وهي النواحي - وجالوا في الحرب جولة جال بعضهم على بعض، وجال في البلاد طاف وغير مستقر فيها فهو جوال، فإن نقطة الأمر الإلهي لو وقفت لمحة لانعدم كل شيء وخرج عن الظهور وهي القوة الفردية الإلهية، قال تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لَهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: الآية 165].

وليست عرضاً بعرض كما تزعمه العقلاء، فإنهم يرون آثارها المختلفة التي تتغير وتتجدد فيظنونها هي القوة الإلهية التي قال تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لَهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: الآية 165] وقولهم: «لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، وإنما هي قوله تعالى: ﴿كُنْ﴾ للشيء الهالك المعدم ﴿فَيَكُونُ﴾ [البقرة: الآية 117] أي: يظهر الأمر بالتكوين عليه، والأمر متكرر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَجِدَةٌ﴾ [الأنعام: الآية 50].

ثم شبه ظهوره بالآثار المتغيرة المتجددة بقوله: ﴿كَلَجٌ بِالْبَصْرِ﴾

[الفنر: الآية 50]، وهو أمر الساعة الحاضرة عند من يشهدا من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَحْدَةً كَلَّجَ بِالْبَصَرِ﴾ [الفنر: الآية 50] وهو أقرب.

ولعارف الدين عفيف الدين الأندلسي سليمان من آيات له قلنس سره:
 ولو لا انخراط الكل بالقوة التي لإطلاقها في جمعهن قيود
 لما عليم الموجود يوماً ولا انقضت رسوم بأنواع البلاء حدود
 ولكنها يابى⁽¹⁾ النهاية وصفها فليس لها في الدور قط جمود
 ولو وقفت يوماً بعيد لنالها به عدم هيهات وهي وجود

(بنواير) جمع دائرة من الدوران، قال في المصباح:

«دار حول البيت يدور دورانا: طاف به، ودوران الفلك تواتر حركاته بعضها أثر بعض من غير ثبوت ولا استقرار».

(الأكولين) جمع كون هو حصول الشيء، قال في المصباح: «كون الشيء هو حصوله، وكون الله الشيء فكان أي وجد، وكون الولد فتكون بمعنى صوره، فالتكون مطاوع التكوين».

وقال في القاموس: «الكون: الحدث كالكينونة، والكائنة: الحادثة، وكونه: أحده، والله: الأشياء أوجدها... والمصدر: الكون والكيان والكينونة».

فالأكوان دائرة لا ثبوت لها ولا استقرار، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِنَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنبياء: الآية 104] أي: مثل المبدأ الإعادة من تجلي المبدى المعيد، وهو التجدد بالأمثال في جميع الأكوان.

قال تعالى: ﴿أَفَتَبَسُّوا بِالْأَلْوَانِ الْأَوَّلِ قُلْ هُوَ فِي لَبْسٍ﴾ [ق: الآية 15] أي: التباس عليهم بسرعة الأمر الذي هو كلمح البصر ﴿مَنْ خَلَقَ جَدِيداً﴾ يخلقهم الله تعالى فيه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [ق: الآية 15] لالتباس الأمر عليهم.

(1) وفي نسخة [ثاني] بدل [ثاني].

قال تعالى: ﴿وَرَىٰ لِلْجَبَالِ تَحْسِبًا جَلِيَّةً﴾ [النمل: الآية 88] وهو الحال ينفتح في الصور فينكشف سرعة ظهورها بأمر الله تعالى، وأما اليوم فتحسبها جامدة لعدم انكشاف الأمر الإلهي لكل أحد.

(مير) أي: هو ﷺ، قال في المصباح:

«السر: ما يكتم، وهي خلاف الإعلان، والجمع: أسرار».

(الهوية) نسبة إلى قوله كناية عن الغائب، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ﴾ ثم فسره بالخبر فقال: ﴿أَلَمْ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية 1] إلى آخر السورة، وهو مقام الذات، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الفرد: الآية 1، وغيرها] أي: الغيب المطلق وهو القرآن.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَنْزِلُ فِي سُبْحَانَكَ مُبِينٌ﴾ [ي: الآية 29] أي الله من حيث هو وراءهم غائب عنهم ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ي: الآية 30] في تَجْ تَحْقُوتِمْ [البروج: الآيات 20 - 22]، وذلك جميع الأكوان من جهة وجه الله.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 88] وهو مقام الصفات الإلهية والأسماء الربانية، وهذا هو سر الهوية وهو محمد ﷺ المخلوق من نوره كل شيء⁽¹⁾ ﴿قُلْ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ [التور: الآية 35].
(التي) وصف للهوية.

(في كل شيء) من الأشياء مطلقاً.

(سارية) أي: محيط، قال تعالى: ﴿وَصَكَاتُ اللَّهِ يَكُلُّ شَيْءَ مُجِطاً﴾ [النساء: الآية 126]، ولا حلول ولا اتحاد كما يتوهمه أهل الجهل بالله من الغافلين عنه تعالى، المشغولين بأوهام الأغيار، المنكرين على أهل الإيمان الكامل والتوحيد الحقيقي، فإن الأشياء كلها عندهم هالكة فانية اعتقاداً جازماً عن كشف يقين بكلام رب العزة.

(1) سبقت الإشارة إلى الحديث الشريف الذي يشير إلى أن كل شيء مخلوق من نور النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْنَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ ذُرِّيُّةٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ آيَاتِنَا الْفُتُونِ﴾ أي: تشبيهه بالحوادث ﴿وَأَيُّهَا تَأْوِيلُهُ﴾ [آل عمران: الآية 7]، أي صرفه عن ظاهره الذي يليق بالله تعالى الحق القديم إلى معنى يخترعونه بعقولهم، وكيف يمكن عقلاً وشرعاً أن يحلّ الوجود الحق القديم في الحادث الفاني العديم أو يتحد به.

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَجْرُوفَةٌ) أي منزّمة مقدّسة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11]، وذلك لأن الشيء الهالك الفاني لا يشبه الحق القديم الباقي ولا بوجه من الوجوه.

(وَعَارِيَةٌ) أي: خالية. قال في المصباح:

«عري الرجل من ثيابه عري من باب تعب عرياً وعرية فهو عارٍ وعريان، وامرأة عارية عريانة».

وقال في القاموس:

«العري بالضم خلاف اللبس، عري كرضي عرياً وعرية بضمها».

(أَمِينٍ) من الأمانة، قال في المصباح:

«أمن بالكسر أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازاً فقيل: الوديعة أمانة ونحوه، والجمع أمانات».

(اللَّهُ)، لأنه تعالى آمنه فأودعه أسرار المُلْك والملكوت.

(عَلَى خَزَائِنٍ) جمع خزانة، قال في المصباح:

«الخزانة بالكسر مثل المخزون من خزنت الشيء خزناً من باب قتل جعلته في المخزون، وجمعه مخازن مثل مجلس ومجالس، وجمع الخزانة خزائن، وشيء خزين فعيل بمعنى مفعول، وخزنت السر كتمته».

وقال في القاموس:

«خزن المال أحرزه «كاختزنه»، واللحم خزناً وخزونا: تغير، كخزّن، كَفَّرَحَ وكَرَمَ، فهو خزين» وكتابة فعل الخازن ومكان الخزن.

والخزائن جمع الأشياء التي يخرج الله منها أشياء غيرها كانت مخزونة فيها من خير وشر، ونفع وضر.

(الفَوَاضِل) جمع فاضلة، أي: عين فاضلة من أعمال وأقوال واعتقادات مخزونة في صور إنسانية وغير إنسانية.

قال في المصباح:

«الفضيلة والفضل الخير وهو خلاف التقصير والتقصير».

وقال في القاموس:

«الفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل، والاسم الفاضلة... والفواضل الأيادي الجميمة أو الجميلة، وفواضل المال ما يأتيك من غلته ومرافقه».

فإن العوالم كلها خزائن يخزن الله تعالى منها ما أودعه فيها على يد الآدميين على أسرارها المكنونة المخزونة فيها، والكل في خزانة قلبه ﷻ، لأن ذلك كله من نوره⁽¹⁾ الذي هو من نور الله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [التور: الآية 35].

(وَمُسْتَوْدِعُهَا) - بصيغة اسم المفعول - معطوف على خزائن، المستودع - بفتح الدال - الذي وضعت الوديعة عنده، والضمير للفواضل.

قال في المصباح:

«استودعته مالا دفعته له وديعة بحفظه».

وقال في القاموس:

«استودعته وديعة استحفظته إياها، والمستودع في شعر العباس المكان الذي جعل فيه آدم وحواء من الجنة أو الرحم».

(وَمُقَسِّمُهَا) معطوف على مستودعها، والضمير للفواضل، ومقسما بصيغة اسم الفاعل مخففاً ومشدداً للمبالغة في التقسيم، قال في المصباح:

(1) سبقت الإشارة إلى ذلك كما هو مبين في حديث جابر.

«قسمته قسماً من باب ضرب فرزته أجزاء فانقسم، والموضع المقسم مثل مسجد، والفاعل قاسم، وقسم مبالغة».

ويصح هنا أن يكون مَقْسِمُهَا اسم مكان القسمة الإلهية، لأنه ﷺ قال ما معناه: «إن الله تعالى هو الرزاق وأنا القاسم»، فهو فاعل القسمة مجازاً، وهو موضع القسمة، والله القاسم حقيقة.

(على خنِيب) أي: مقدار عمل، قال في المصباح:

«يقال: يجزى المرء على حسب عمله، أي: على مقداره، والحنِيب بفتح الحينين المثل».

وقال في القاموس: «حسب محركة، ومنه: وهذا بحسب ذاء، أي: بعلده وقدره، وقد يسكن».

(القَوَابِل) جمع قابل وهو المستعد لما يظهر منه من أنواع الكمال والنقص.

(وَمُوزَّجُهَا) بصيغة اسم الفاعل مثلاً معطوف على مقسمها، والضميران «في موزعها ومقسمها» للفواضل، والتوزيع بمعنى التقسيم.

قال في المصباح: «وزعت المال توزيعاً قسمته أقساماً وتوزعناه قسمناه». وهو ﷺ كما ذكر عنه، لأنه سر الهوية الإلهية الغيبية، فلا يعلم ما هو إلا هو.

(كَلِمَةُ الْإِسْمِ) الإلهي.

(الْأَعْظَمُ) الذي ما دعي الله تعالى به إلا أجاب الدعاء ممن عرفه، وأضاف كلمة إلى الاسم، فالاسم عين المسمى، والمسمى الهو وهو غيب، والنيي ﷺ ما هو الغيب، وإنما كلمة الغيب الحق.

كما قال تعالى عن عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَيْنَا إِنْ مَرِّمَ﴾ [النساء: الآية 171] فَإِنَّ الْهُوَ غَيْبُ الْهُوِيَّةِ.

(وَفَاتِحَةً) أي الذي فتح به عالم الأكوان، قال في القاموس: فاتحة الشيء أوله.

(الْكَنْزُ) الأمر المختفي في صور الكائنات الغانية العديمة، قال في المصباح:

«كنزت المال كنزاً - من باب ضرب - جمعته وأدخرته، والكنز: المال المدفون تسمية بالمصدر، والجمع كنوز مثل فلس وفلوس».

فقد ورد في الحديث القدسي: «كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً فَأَخْبَيْتُ أَنْ أَهْرَفَ فَخَلَفْتُ خَلْفاً تَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ، فَبَيَّ هَرْفُونِي»⁽¹⁾.

وقوله: «فبي» من حيث عدد الجمل بالحساب اثنان وتسعون، وعدد حساب محمد اثنان وتسعون، فَإِنَّ الْيَمِينَ ثمانون، كل ميم أربعون، والحاء ثمانية، والذال أربعة، أي: هرفوه به من حيث هو كنز مخفي في عوالم الإمكان، وعلى هذا لقوله تعالى في هذا الحديث القدسي الظاهر على لسان النبي ﷺ: «وبي هرفوني» معناه: فبمحمد ﷺ هرفوني، فبحقيقته وشريعته هرفوني لا بواحد منهما، ولا بقولهم وكلام نفوسهم هرفوني، فَعِلْمُ الكلام ضلال كله والسلام.

(الْمُطْلَسِم) من الطلمس، كلمة عجمية تستعملها العرب بمعنى الخفاء والكتم، وطلسم مقلوب حروفه مسلط، والمسلط الرصد، فَإِنَّ هَذَا الْكَتْرَ الْإِلَهِيَّ واجب، مخفي بأستار الإمكان، مرصود بالمهالك الرديئة.

قال في المصباح:

«الرصد الطريق، والجمع أرصاد مثل سبب وأسباب، ورصدته رصداً - من باب قتل - قعدت له على الطريق، والفاعل راصد، وربما جمع على رصد مثل خادم وخدم، والرصدي - نسبة إلى الرصد - وهو الذي يقعد على الطريق

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2016) [2/ 173].

يتنظر الناس لياخذ شيئاً من أموالهم ظلماً وعدواناً، وقعد فلان بالمرصد - وزان جعفر - وبالمرصاد - بالكسر - وبالمرتصد أي: بطريق الارتقاب والانتظار: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ①﴾ [الفجر: الآية 14]، أي مراقبك».

فلا يخفى عليه شيء من أفعالك ولا تفوته، فكان هذه الكلمة الأعجمية التي هي الطلسم في هذا المعنى رصد على هذا الكنز، فلا ينفك إلا بمتابعة الشريعة والحقيقة وإطاعة الرسول وإطاعة الرب تعالى.

(المنظور) أي: موضع الظهور، والذي به الظهور الإلهي لنفسه ولغيره.

(الأتم) أي: الذي لا أكمل منه في التجلي الرباني.

(الجوامع) بصورته الجسمانية والنفسانية.

(بَيِّنَ الْعُبُودِيَّةِ) لله تعالى بالطاعات والاستسلام لأمره ونهيه، وبالروحانية الأمرية للغيب المطلق.

(و) وجه (الرئوبية) من قوله تعالى بالفناء والبقاء: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 88].

(والنشأة) بضم النون الاسم، وبالفتح المصدر، قال في المصباح: «نشأ الشيء نشأ - مهموز من باب فتح - حدث وتجدد، وأنشأته أحدثته، والاسم النشأة والنشأة وزان ثمرة وسلامة، ونشأت في بني فلان ربيت فيهم، والاسم النشوء مثل قفل».

(الأتم) وصف للنشأة لأنَّ مِنْ نشأته ﴿أَنشَأَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ ①﴾.

(الشامل) بما أودع الله تعالى في حقيقته النورانية المخلوقة من نور الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ نُورٌ يَدْرَى اللَّهَ﴾ تعالى ﴿لِئُرِيَهُ﴾ بنوره ﴿مَنْ يَشَآءُ﴾ [النور: الآية 35]. (الإمكانية) من الحضرات الكونية الحادثة.

(وَالْمُخَضَّرَاتِ الْوُجُودِيَّةِ) الإلهية الربانية بسبب ظهور الروح الذي هو من أمر الله تعالى القديم.

قال تعالى: ﴿وَنَسْأَلُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: الآية 85].
وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَتَىٰهُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [الطلاق: الآية 5] يعني بإنزاله الروح التي من أمره في نشأة الإنسانية كاملة بالشهود وناقصة بالغفلة، ولهذا قال تعالى لنبيه الذي ناشىء مثل نشوئهم إنساناً كاملاً ﴿قُلْ إِنَّمَا بَشَرٌ مُثَلِّمٌ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الكهف: الآية 110].

(الطُّوْد) هو الجبل أو الجبل العظيم، وجمعه أطواد، ذكره في القاموس، فإنه ﷻ لا أعظم منه في خلق الله تعالى.

(الْأَشْمُ) المرتفع على كل شيء، قال في المصباح:
«الشم المرتفع الأنف، ارتفاع الأنف، وهو مصدر من تعب، فالرجل أشم والمرأة شماء مثل أحمر وحمراء».
(الْبَيْ) من حيث هو جبل.

(لَمْ يُزَحْزَحْهُ) أي: يباعده وينحيه، قال في المصباح:
«زحزحه فتزحزح أي: باعده فتباعده، وتزحزح عن مجلسه تنحى».
(تَجَلَّى) أي: انكشف أنواع من الظهور الرباني على القلب الإنساني.
(هُنْ مَقَام) هو ما رسخت فيه بصيرة العبد، والحال ما يعرض ويَزُول.
(الْتَمَكَّنُ)⁽¹⁾ أي: الرسوخ بالبصيرة الكاشفة عن الغيب المطلق في أعيان الكائنات، قال في المصباح:

«مَكَّنَ فلان عند السلطان مكانة وزان ضخمة ضخامة عظم عنده وارتفع فهو مكين، ومكنته من الشيء تمكيناً جعلت له عليه سلطاناً وقدرة فتمكَّن منه، واستمكن منه قدر عليه، وله مكنة أي قوة وشدة».
(وَالْبَحْرِ) أي: الممتلئ علوماً إلهية وأسراراً ربانية.

(1) وفي نسخة ورد كلمة [التمكين] بدل كلمة [التمكن].

(الْبُخْصَمُ) مشدّد الميم، أي: المحيط الواسع.

(الَّذِي لَمْ تُفَكِّرْهُ) أي: تكثره، قال في المصباح:

«عكر الشيء عكراً فهو عكر من باب تعب تكثر، وأعكرته وعكّرت به همزة والتضعيف جعلته كذلك».

(جَيْفٌ) جمع جيفة، قال في المصباح:

«الجيفة الميتة من الدواب والمواشي إذا أنتنت، والجمع جيف مثل سدره وسدر، سميت بذلك لتغير ما في جوفها».

(الْغَفْلَاتِ) جمع غفلة، قال في المصباح:

«الغفلة غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له».

وكنى بجيفة الغفلات عن المشركين والكافرين والمنافقين الذين هم أموات القلوب، وقد أنتنت أجسادهم وفاحت من أفواههم روائح نجاسات قلوبهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: الآية 28].

وقال تعالى: ﴿لَوْلَيْكَ الذِّكْرُ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَلَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ﴾ [النحل: الآية 108]، فكان ﷺ بحراً واسعاً ممتلئاً ماء طهوراً مما تحصل به الطهارة، وهي العلوم الإلهية والمعارف الربانية، وهذه الجيف المنتنة ملقاة فيه، لأنه كان حريصاً على هدايتهم وطهارتهم، ونجس العين لا يظهر بالغسل حتى تستحيل عينه إلى حقيقة أخرى، وهو ﷺ «كان» حريصاً على هدايتهم، قال الله تعالى له: ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ لَهْدٍ وَهُمْ لَا يَصِيرُونَ﴾ [النحل: الآية 37]، وكان ﷺ لا يبالي بهم، ويضيق صدره بما يخرج من أفواههم، فيهتم بذلك أحياناً حتى قال له الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّاكَ أَن تَبِيضَ بِمَنْعِكَ مَا يَكُونُ﴾ [الجبر: الآية 97]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَكُفْ فِي حَقِّي مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: الآية 127]، حتى قال له: ﴿وَأَمِيزْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَقْبِرْهُمْ هَجْراً جَبِيلاً﴾ [المزمل: الآية 10].

(فَرُّ صَفَاءِ الْيَقِينِ) أي: التحقُّق بربه وشهود التجلِّي بكل شيء في حضرة قربه.

(الْقَلَمُ) الإلهي الذي في يد الله تعالى يكتب به في وجوده ما شاء، قال تعالى: ﴿يَمْشُوا أَعْلَىٰ مَا يَمْشُونَ وَمَا يَكْتُمُونَ مِنْ شَيْءٍ لَّا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي يَدَيْهِمْ فَتَرَةً شَرًّا يَكْفُرُونَ﴾ [الزمر: 39]، وكان يقول ﷺ: «والذي نفسي بيده»⁽¹⁾، فكانت يده دائماً في يد الله تعالى.

(الثَّوَابِي) نسبة إلى النور، لأنه مداد النور، وهو نور في يد النور، وكتابته كلها نور، وما جاء سواد الجهل والغفلة إلا من النفوس البشرية التي أفلتت يدها من يد الله تعالى، قال تعالى: ﴿بَدَأَ آفَاقَهُمْ لَيَالٍ سُدِّيَّةً وَمِنْهُمْ مَّنْ جَاكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ جَاكَ﴾ [الفتح: 10].

قال الشيخ الأكبر شيخنا محيي الدين ابن عربي - قدس سره - من أبيات له:

قد جاءك النور فاقبسه ولا تُعْرِجْ على السواد

ومن أتاه النُّظار⁽²⁾ يوماً يزهد في الخطِّ بالمداد

(البخاري) ذلك القلم على صفحات الإمكان.

(بِمَقَادٍ) أي: بما يحصل المدد، قال في المصباح:

«المداد ما يُكتب به، ومددت الدواة مدّاً من باب قتل، جعلت فيها

المداد».

(الحُرُوفُ) جمع حرف وله معاني مختلفة والذي يناسب منها هنا الوجه،

قال في المصباح:

«الحرف الوجه والطريق، ومنه نزل القرآن على سبعة أحرف».

ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]،

(1) رواه البخاري في أبواب عدة منها باب وجوب صلاة الجماعة... حديث رقم

(618) [231 / 1] ورواه مسلم في صحيحه في أبواب عدة منها باب بيان الإيمان

الذي يدخل به الجنة... حديث رقم (14) [44 / 1] ورواه غيرهما.

(2) وفي نسخة [النُّظار] بدل [النُّظار]. (انظر الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

﴿كُلُّ مَنْ عَلَّمَا قَدْ ﴿١٧﴾ وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 26، 27] ويرون وجهه .

فالحروف (الغاليات) أي: المنزهات المقدسات عن الكونية المطهرة لها، وكلها حرف واحد، وإنما كثر واختلف بتجلي الإرادة الإلهية والمشينة الربانية.

قال بعض العارفين⁽¹⁾ مشيراً إلى حضرة العلم القديم:

كنا حروفاً عاليات لم نقل متعلقات في ذرى أعلى القل

أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو الكل في هو هو فصل عن وصل

(والنفس) بفتح الفاء، أي: هو ﷲ النفس بلام العهد الذكري في قوله ﷲ:

«إِنِّي لَأَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ يَأْتِينِي مِنَ الْيَمَنِ»⁽²⁾، فهو ﷲ نفس الرحمن الذي نَفَسَ

الله تعالى به عن كروب الأكوان، فأخرجها به من ضيق حوالم الإمكان، إلى

فضاء التجلي الإلهي بكلمة الإذن الأمري: ﴿كُنْ﴾ [البقرة: الآية 117] فكان.

(الساري) من سار سيراً ومسيراً، ويكون بالليل والنهار، ويستعمل لازماً

ومتعدياً فيقال: سار البعير وسرته ذكره في المصباح، وقال أيضاً:

«سريت الليل وسريت به سيراً، والاسم السراية إذا قطعته بالمسير،

وأسريت بالالف لغة حجازية، والسرية بضم السين وفتحها أخص، يقال:

سرينا سرية من الليل وميرة، والجمع السرى مثل: مدية ومدى. قال أبو زيد:

ويكون السري أول الليل وأوسطه وآخره».

وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيهاً لها بالأجسام مجازاً

واتساعاً، قال تعالى: ﴿وَأَيُّلَ إِنَّا يَسِّرُ ﴿١﴾﴾ [الفجر: الآية 4] والمعنى: إذا يمضي.

وقال البغوي: «إذا سار وذهب». وقال الفارابي: «سرى فيه السم

(1) هذا العارف هو الشاب الظريف محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، شمس الدين، ويقال له أيضاً ابن العفيف نسبة إلى أبيه العارف بالله تعالى الشيخ عفيف الدين التلمساني، ولد الشاب الظريف بالقاهرة سنة 661هـ وكان أبوه من مشايخ الصوفية فيها، توفي سنة 688هـ. (انظر الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

(2) ورد بلفظ: «إِنِّي لَأَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ». أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (659) [1/ 251].

والخمر ونحوهما»، وقال السرقسطي: «سرى عرق السر في الإنسان»، وزاد ابن القطاع على ذلك: «وسرى عليه الهم: أناه ليلاً، وسرى همته: ذهب».

وإسناد الفعل إلى المعاني كثير في كلامهم نحو: طاف الخيال، وذهب الهم، وأخذ الكسل.

وهذا السريان هنا الإمداد الروحاني بالنور المحمدي، كما قال:

(بمؤلف) جمع مادة وهي الزيادة المتصلة، ذكره في القاموس.

(الكَلِمَات) جمع كلمة، وهي الصورة المؤلفة من معاني إلهية يتوَّجَّه بها الوجود الحق «بكن» فيكون، فتظهر بنور وجوده كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [التور: الآية 35] الآية، ﴿وَأَشْرَكَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: الآية 69] يوم الكشف.

(الثَّامَات) وصف للكلمات، والتمام في الكلمات ظهور المتكلم بها وكل كلمات الحق إن ظهر لها بها، قال تعالى: ﴿قَوَّيْتُ أَلَمَّ وَالْأَرْضِ إِلَهُ لَعَنَ مَثَلُ مَا أَكَلْتُمْ تَطْلُونَ﴾ [الذاريات: الآية 23]، فهي كلمات ثامات صادرات عن متكلم حق، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الزوم: الآية 28]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنفُسُكُمْ أَفَلَا تُفَعِّرُونَ﴾ [الذاريات: الآية 21].

(الْفَيْض) يقال: فاض السبيل يفيض فيضاً كثر وسال من شقة الوادي، وأفاض بالآلف لغة، وفاض الإناء فيضاً امتلاً، وأفاضه صاحبه ملاء، وفاض كل سائل جرى، وفاض الخير كثر، وأفاضه الله كثره، وأفاض الناس من عرفات دفعوا منها، وكل دفعة إفاضة، ذكره في المصباح.

(الْأَقْلَس) أفعل تفضيل، أي: الأكثر تقديساً من المُقَدَّس، قال في المصباح:

«المُقَدَّس - بضمين وإسكان الثاني تخفيفاً - هو الطهر، والأرض المقدسة المطهرة، وتقدس الله تنزه وهو القُدُّوس».

(الْمُنْتَنِي) أي: المنسوب إلى ذات الحق تعالى.

(الَّذِي تَعَيَّنَتْ بِهِ) أي: بذلك الفيض المحمدي الجامع في عالم الغيب حيث ﴿كُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفَصْر: الآية 88].

(الأخيان) جمع عين، وهي المعلومات بالعلم الإلهي قبل ظهورها في حضرة الإمكان بنور الوجود الحق تعالى.

(و) تعينت به أيضاً (استغلافاً لها) للظهور بترتيبها الذي مترتبة به من تقديم وتأخير وزيادة بعضها على بعض ونقصان بعضها على بعض، والاستعدادات جمع استعدادة، فعل مرة من الشيء لكذا تهيأ له، قال في المصباح: «الْعُدَّةُ بضم الاستعداد والتأهب».

وقال في القاموس: «أَعَدَّه هَيَّاهُ واستعدَّ له».

(والفيض المُقَدَّس) بصيغة اسم مفعول، أي: المطهر المنزه عن مشابهة كل شيء.

(الصفاتي) نسبة إلى الصفات، فإذا ظهرت بالآثار فهي الأسماء، فالحياة والعلم والإرادة والقدرة صفات، والحيّ والعالم والمريد والقادر أسماء، وكلها لله تعالى، وهي قديمة أزلية أبدية، وأما فيضها الصفاتي والأسماتي والفيض الذاتي فهو حادث، وهو الحقيقة المحمدية⁽¹⁾ القابضة بالنور الثاني من النور الأول على الآثار الكونية.

(1) الحقيقة المحمدية: يشيرون به إلى هذه الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها، أي للحقائق والسارية بكليتها في كلها سريان الكلّي في جزئياته، وإنما كانت الحقيقة المحمدية هي صورة لحقيقة الحقائق لأجل ثبوت الحقيقة المحمدية في حاق الوسطية والبرزخية والعدالة، بحيث لم يغلب عليه ﷺ حكم اسم أو صفة أصلاً كما عرفت ذلك عند الكلام على توبة الانتهاء، فكانت هذه البرزخية الوسطية هي عين النور الأحمدى المشار إليه بقوله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري».

أي قدر على أصل الوضع اللغوي، فهو ﷺ أول ما خلق الله تعالى، وبهذا الاعتبار سمي ﷺ بنور الأنوار، وبأبي الأرواح، كما مر، ثم إنه ﷺ آخر كل كامل خلق الله، إذ لا يخلق الله بعده مثله في الكمال، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَلِدْكَ أُلُوفٌ مِّثْلَهُ﴾ =

(الَّذِي) وصف للفيض المقدس.

(تَكُونُتْ) أي: ظهرت (به).

(الْأَكُونُتْ) أي: المكونات من إطلاق المصدر، وهو الكون على اسم المفعول.

(وَأَسْتَمْدَأْتُهَا) أي طلبها الممد منه تعالى، قال في القاموس:

«الاستمداد: طلب الممد».

أو إشراق لنور وجوده عليها، قال تعالى: ﴿كَلَّا يُبَدِّلُ هَتُؤْلَآءَ وَهَتُؤْلَآءَ مِنْ عَمَلِهِ رِكَآءً وَمَا كَانَ عَمَلَهُ رَبِّكَ مُنْتَوِرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: الآية 20] أي: ممنوعاً من أحد أصلاً.

(مَطْلَعٌ) بفتح اللام وكسرها مصدر ميمي، قال في المصباح:

«طلعت الشمس طلوعاً من باب قعد ومطلقاً بفتح اللام وكسرها، وكل ما بدا لك من علٍ فقد طلع عليك».

(شُغُوبِ الثَّابِتِ) الإلهية، أي: طلوع نورها.

(فِي سَمَاءِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ) الإلهية، فهو ﷻ طلوع ذلك لا هو الطالع.

(وَمَنْبَعٌ) أي: موضع نبع، قال في المصباح:

«نبع الماء نبوعاً من باب قعد ونبع نبعاً من باب نفع لغة خرج من العين، وقيل: العين ينبوع، والجمع ينابيع، والمنبع بفتح الميم والباء مخرج الماء، والجمع منابع».

(نُورٍ) لأنه ﷻ نور مخلوق من نور فائض بالنور، والكل نور، وإنما

- [الأحزاب: الآية 40] والإشارة منه ﷻ إلى أوليته بمعنى نوره، وآخرته بمعنى ظهوره هو قوله ﷻ: «نحن الأولون والآخرون» [130]، وهذه الحقيقة الكلية هي أصل جميع الأسماء الإلهية المضاف إليها الربوبية، ومعنى كون هذه الحقيقة هي الحقيقة المحمدية، أي أن الصورة العنصرية المحمدية صورة لمعنى، ولحقيقة ذلك المعنى وتلك الحقيقة هي حقيقة الحقائق، فافهم. (لطائف الإحلام في إشارات أهل الإلهام، مطبوع في الدار بتحقيقنا).

الظلمات من التكذيب والجحود والإشراك بالله والمعاصي والمخالفات، وكل ذلك من الجهل بالله وضعف القلوب والأبصار والبصائر.

(الإفاضات) كُلُّهَا: الإفاضة الذاتية، والإفاضة الصفاتية، والأسمائية.

(في رياض) جمع روضة.

قال في المصباح:

الروضة: الموضع المعجب بالزهور، وجمع الروض رياض وروضات يسكون الوار والتخفيف، وهذيل بفتح على القياس.

ولما أطلق عليه ﷺ أنه منبع، ناسب أن يقال في رياض كناية عن الأكوان المحكمة البديعة، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقًا﴾ [السجدة: الآية 7].

(النسب) جمع نسبة - بالكسر - مثل سدره وسدر، وقد نظم فيجمع مثل غرفة وغرف، وينسب الشيء إلى ما يوضح ويميز من أب وأم وقبيلة وبلد وصناعة وغير ذلك، ذكره في المصباح، فإن كل نسبة إلى شيء نسبة إلهية إلى الخالق الرب سواء عرف ذلك أو لم يعرف، فالنسب كلها إلهية، وهي مختلفة كما قلنا من آيات:

لنا صبغ الإرادة طبق ما في الأرض يظهر والسما

وقال تعالى: ﴿مِنْهُنَّ لَكَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ مِنْهُنَّ﴾ [البقرة: الآية

[138].

(والإضافات) جمع إضافة، وهي ضم الشيء إلى غيره، قال في

المصباح:

«أضافه إلى الشيء إضافة ضمه إليه وأماله».

والحاصل أن جميع الكائنات ما هي كائنة إلا بالنسبة إلى النور المحمدي الكائن بالنسبة إلى نور الله تعالى، ولا هي متحققة إلا بالإضافة إلى ذلك، ولهذا أطلق النسب والإضافات لقصد العموم في الكائنات.

(خطّ) أي: كتابة، يقال: خط الرجل الكتاب بيده خطأً من باب قتل كته، وخط على الأرض خطأً أعلم علامة، ذكره في المصباح.

(الوَخْذَةُ) الإلهية الذاتية، أي: هو ﷺ كتابته النور الرباني في نفسه كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى قُلُوبِهِ الرِّحْمَةَ﴾ [الأنعام: الآية 54] وقال تعالى عنه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية 107].

(بَيْنَ قَوْسِي) تشبيه قوس، والقوس إذا شذّ رمى بالسهم «و» صار نصف دائرة، والقوس الآخر كذلك في العلم الإلهي، وهذا ظلّ ذاك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ رَجُلٌ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: الآية 45].

وفي الحديث: «سبعة يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»⁽¹⁾ هو يوم الكشف عند العارفين، وهو التجلي اللاتني الوجودي بصفات رب العالمين، فهي دائرة.

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُبِيدُهُ وَهَذَا طِينًا إِنَّكَ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية 104].

(الأَحَدِيَّةُ) وهي حضرة الذات العلية، فإنّ الواحد لا يمكن أن يكون إلاّ واحداً، ولهذا صيغ الخبر به عن الاسم الواحد الجامع لجميع الأسماء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي الغيب المطلق هو ﴿أَوَّ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية 1] الواحد، أي الاسم الجامع لجميع الأسماء أحدي واحد، لا يمكن أن يكون إلاّ واحداً، بخلاف الاسم الجامع لجميع الأسماء فإنه واحد، فلو قيل: قل هو الله واحد لما أفاد، لأن الواحد واحد.

(و) قَوْسِي (الوَاجِبِيَّةُ) هي حضرة الأسماء.

فالقوس الأول: حضرة الذات، وهي الحقيقة العلية.

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة... حديث رقم (629) [234/1] ورواه مسلم في صحيحه، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم (1031) [715/2] ورواه غيرهما.

قال الشيخ الأكبر - قدس سره - في بعض رسائله :

«إِنَّهُ تَعَالَى عَلِمَ نَفْسَهُ، فَقَلِمَ الْعَالَمَ كُلَّهُ».

والقوس الثاني: حضرة الصفات والأسماء الإلهية.

وهذا القوس «من القوس» الأول، والسهم من توتره في القوسين لإصابة

الأغراض الكونية، وتلك السهم هي أفعال العباد من خير وشر ونفع وضرر،

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ بِكَ رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الْوَيْلَ﴾ [الفرقان: الآية 45].

وقال الشيخ الأكبر - قدس سره - في هذا المعنى :

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة

كل من يعرف هذا حاز أسرار الطريقة

يعني من عرف فناء الكون في تجلّي نور الوجود الحق فقد حاز أسرار

الطريقة المحمدية وتحقق بعلوم الأنبياء والأولياء، ومن لم يعرف الفناء في

طريقتهم فهو محدث حدثاً أكبر وعليه جنابة الأغيار، لا يرفعها عنه إلا طهارة

الفناء والاضمحلال كما قلنا في مطلع قصيدة لنا :

إن الفناء طهارة الإنسان لصلاة معرفة القريب الداني

(ووَاسِطَةً) أي وسيلة الأمر لقصد الخبر.

قال في صحيح الجوهرى: «واسطة القلادة: الجوهرة التي في وسطها

وهو أجودها».

(التَّشْوِيلُ الإلهي) أي: الظهور الرباني إلى أعيان الكون الروحاني

والجسماني.

(مِنْ سَمَاءٍ) أي: ما ارتفع من الغيب المطلق عن العقول والحواس.

(الْأَزَلِيَّةُ) مضاف إلى سماء بتقدير الحضرة الأزلية المنسوبة إلى

الأزل.

قال في القاموس: «الأزل... وبالتحريك: القدم، وهو أزلي، وأصله

يزلي منسوب إلى لم يزل، أبدلت الياء ألفاً للخفضة كما قالوا في الريح المنسوب إلى ذي يزن أذني.

(إلى الأرض) وهي ما سفلى من مدركات العقول والحواس.

(الأبليّة) وصف للأرض المذكورة نسبةً إلى الأبد وهو الدهر، ويقال:

الدهر الطويل الذي ليس بمحدود، ذكره في المصباح.

فالأزل له تعالى، لا يشاركه فيه شيء، والأبد للعوالم الكونية الإنسانية

وما يتبعها من الأكوان، والكل راجع إليه تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَبْصُرُونَ﴾ [النصر: الآية 70]، ﴿وَلَا يَأْتِيهِمُ الْيَأْسُ﴾ [المائدة: الآية 18].

وفي الحديث: «لَنْ يَكُنَّ الْخَلْقُ»⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية 3].

(النسخة) مِنْ نَسَخَ، قال في المصباح:

«نسخت الكتاب نسخاً من باب نفع نقلته وأنسخته، كذلك قال ابن فارس،

وكل شيء خلق شيئاً فقد أنسخه، يقال: أنسخت الشمس الظل والشيب الشباب أي أزاله، والكتاب منسوخ ومتسخ منقول، والنسخة الكتاب المنقول، والجمع نسخ مثل غرفة وغرف».

فهو ﷻ نسخة منقولة من كتب الحق تعالى كالظلّ نسخة من الشجرة

المتوجّه عليها نور الشمس.

فالظلّ هو النسخة (الصُغْرَى) المنقولة من حضرة علم الله تعالى بنفسه أولاً

كما قال تعالى له: ﴿أَلَمْ تَرَ لَكَ رَحْمَةً كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: الآية 45]، ومثله إظهار ما فيه من أحيان الممكنات.

(1) ورد بلفظ: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار»، رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الأخبار عن السب الذي من أجله قال ﷺ: «إن الله هو الدهر».

(التي) وصف للنسخة.

(قُرِئَتْ) أي: ظهرت.

(عَنْهَا) فروع النسخة.

(الكُبْرَى) التي هي حقائق الكائنات المحاط بها في العلم الإلهي القديم، وهي قوله تعالى: ﴿قُوَّةٌ لِّأَن تَصِيْبَ مَا تَوْنُ ۖ﴾ [الشجم: الآية 10].

(وَالدَّرَةُ) بالضم اللؤلؤة الكبيرة، والجمع درّ - بحذف الهاء - ودرر مثل غرفة وغرف، ذكره في المصباح، وقال في القاموس: «الدرة: اللؤلؤة العظيمة وجمعها در ودرر ودرات».

(الْبَيْضَاءُ) أي الصافية النقية كناية عن النور المحمدي الذي هو أول مخلوق من نور الله تعالى كما ورد في الحديث الذي رواه جابر رضي الله عنه قال ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورَ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ»⁽¹⁾ إلى آخره.

(التي) وصف الدرة.

(تَنَزَّلَتْ) بأن ظهرت نازلة.

(إِلَى الْيَاقُوتَةِ) الواحد من الياقوت، فقال الجوهرى في الصحاح:

«الياقوت: يقال فارسي معرب وهو فاعول، الواحد ياقوتة والجمع اليواقيت».

وقال في القاموس:

«الياقوت من الجواهر معروف معرب أجوده الأحمر الرمانى».

(الْخُمْرَاءُ) وصف للياقوتة، والحمرة من الألوان معروفة، والذَّكْرُ أحمر، والأنثى حمراء، والجمع حمر، وهذا إذا أريد به المصبوغ.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

فإن أريد بالأحمر ذو الأحمر جمع على الأحمر، لأنه اسم لا وصف له،
وأحمر البأس اشتد، وأحمر الشيء صار أحمر، وحمّرت به بالتشديد صبغته
بالحمرة، ذكره في المصباح.

وقال في القاموس:

«الموت الأحمر: القتل أو الموت الشديد، وقولهم الحسن الأحمر أي:
يلقى العاشق منه ما يلقي من الحرب».

ولنا في مطلع قصيدة في ديوان الغزل لنا:

تذكرني خذيه والخذ أحمر لظى مهجتي والشيء بالشيء يذكر

وكنى هنا بالياقوتة الحمراء عن صورة عالم الأكران المختلفة الطبائع
والألوان والمذاهب والأديان، فإنها كلها مخلوقة من نور حقيقته ﷻ، وإنما
صبغتها بالحمرة مقاصد القلوب والنيات، فغيرت بياض درتها أعمال البريات،
ومن صفى فقد وفى، وزال عنه الخفاء.

(جؤهر) هو كل حجر يستخرج منه شيء ينفع به، ومن الشيء ما وضعت
عليه جبلته، ذكره في القاموس.

كنى به عما وضعت عليه جبلته النبي ﷺ، ومالت إليه طبيعته من نفع الأمة
والحرص على هدايتهم، حتى قال تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدٰهُمُ لَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (التعل: الآية 37).

وقال الله تعالى له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: الآية 56).

(الخوارج) جمع حادث من الحدوث.

قال في القاموس:

«حَدَّثَ حَدَثًا وَحَدَاثَةً تَقِيضُ قَدَمًا، وَتَضْمَنُ دَالَهُ إِذَا دُكِرَ مَعَ قَدَمٍ».

وقال في المصباح:

«حدث الشيء حدثاً من باب قعد تجدد وجوده فهو حادث وحديث».

وقال الجوهري في الصحاح:

«الحديث نقيض القديم، يقال: أخذني ما قدم وما حدث لا يضم حدث في شيء من الكلام إلا في هذا الموضع وذلك لمكان قدم على الازدواج».

(الإنشائية) وصف للحوادث، (لا تخلقوا) أي: لا تفرغ دائماً وهي الأجسام، فتخليق الله تعالى وترزيقه وإحيائه وإماتته قديمات أزليات، والعالم كلها ثوابت بأمر الله تعالى لا موجودات، وإنما الوجود وحده لله تعالى وحده، لا شريك له فيه أزلاً وأبداً، وسيأتي لهذا زيادة بيان، (عن الحركة والسكون، ومادة الكلمة الفهوانية الطالعة من كنه كنه إلى شهادة فيكون).

(هيولي) أي: مادة أصلية لإظهار العوالم كلها، قال في القاموس:

«الهيولي وتشدد الباء مضمومة عن ابن القطاع: القطن، وشبه الأوائل طينة العوالم بالهيولي أو هو في اصطلاحهم موصوف بما يصف به أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية ولا كيفية، ولم يفتن به شيء من سمات الحدث ثم حلت به الصنعة، واعترضت به الأعراض فحدث منه العالم».

وهذا كله حدث في عقول الكافرين بأنبياء الله تعالى المرسلين لتعريف العقلاء برتبهم، ففنع الكافرون بعقولهم، وإدراكاتها المختلفة، وكتبوا أنبياءهم، فضلوا وأضلوا، وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام جاؤوا يخبرون الأمم بعلوم

إلهية أوحى الله تعالى بها إليهم لا تدركها العقول، فمن صدقهم وآمن بهم وبما جاؤوا به تحقق بالله تعالى، وعرف ما هو الحق المبين بسبب المتابعة والافتداء، ومن كذب وتولى ضلّ وطغى، في القرآن غنية عن كل ذلك، وهو: ﴿هُنَالِ لَقُوهُ يَوْمَ يَدْعُ مَنْ يَشْأَهُ مِنْ عِبَادِي﴾ [الأنعام: الآية 88]، وهذه حكمة إرسال الرُّسل وإنزال الكتب والصحف.

فلو كان العقل في كل مكلف من بني آدم والجن كائناً في معرفة الله تعالى الصانع الحق وتوحيده كان إرسال الرُّسل وإنزال الكتب والصحف أمراً عبثاً، والأمر العبث نقص في حق الصانع الحق القديم، وهو محال عليه، لأنه نقص من المخلوق فكيف لا يكون من الخالق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: الآية 115].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِيْن ۖ تَذَكَّرَ ۚ وَلَوْ أَن تَأْخُذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۚ بَلْ نَقْذِفُ بِالْمَقِ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا فَعِمُونَ ۚ﴾ [الأنبياء: الآيات 16 - 18] يعني باتِّباع عقولكم وإعراضكم عما جاءت به الأنبياء والرُّسل من جهتنا.

(الصُّور) جمع صورة، قال في المصباح:

«الصورة التمثال، وجمعها صور مثل غرفة وغرف، وتصوّرت الشيء مثلت صورته وشكله في الذهن فتصوّر هو.

وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة كقولهم صورة الأمر كذا أي: صفته».

يعني أن الحقيقة المحمدية وهي النور المخلوق من نور الله تعالى، وهي حضرة علمه القديم المحيط بكل شيء عديم، لا عين العلم القديم بل حضرة وظهوره، إنما ذلك هيولى الصور الحسية والصور المعنوية العقلية.

والله تعالى لم يخلق إلا صور في الحسن وفي العقل كما قال تعالى: ﴿مَوْ
لَهُ الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: الآية 24].

وقال تعالى: ﴿مَوْ أَلْزَى يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: الآية 6].

وقال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: الآية 64].

وقال تعالى: ﴿إِنِّي صَوَّرْتُ نَارًا ذَكَةً وَكَيْفَ﴾ [الانفطار: الآية 8].

(التي) وصف لهيولى الصور (لا تتجلى) أي: لا تظهر ولا تنكشف.
قال في المصباح:

«جلى الخبر للناس جلاء بالفتح والمد وضع وانكشف فهو جلي، وجلوته
أوضحته، يتعدى ولا يتعدى».

وقال في القاموس: «الجلي كُغْنِيَ الواضح، وجلى فلان الأمر كشفه عنه
كجلاء وجلاء عنه، وقد انجلى وتجلي».
(بأحد) من الناس وغيرهم.

(إلا مرة) وواحدة في كل طرفة عين، وهو أمر الله تعالى الذي قال تعالى
عنه: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ [الطلاق: الآية 5]، والخلق هو صور الأمر، فلا
يظهر الأمر الإلهي إلا بصور الخلق.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: الآية 47] أي متصور بصور
الخلق.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُونًا﴾ [الأحزاب: الآية 38].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية 54]، وقال تعالى: ﴿وَمَا
أَمْرًا إِلَّا وَجْدَةٌ كُلٌّ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: الآية 50]، ومن أسمائه تعالى الواسع
الذي وسع كل شيء.

وقال تعالى: ﴿وَمَعَ رَبَّنَا كُلُّ شَيْءٍ حَالًا﴾ [الأعراف: الآية 89]، وقال تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَرْسَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ. وَاللَّهُ يَشْهَدُونَ وَكَانَ بِأَلَدِهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية 166].

وهذه الشهادة واحدة، وهي شهادة التوحيد في قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البقرة: الآية 177]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا يَأْخُذُهُ سِنٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَ أَيْدِيهِمْ وَلَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [آل عمران: الآيات 18، 19].

وحكم الخلق كلهم إليه تعالى، أنفسهم وأرواحهم وأجسامهم ظاهراً وباطناً مطابقة لما هم عليه في نفس الأمر من تجليه بهم في كل طرفة عين، فيشهدون حينئذ بشهادته وشهادة الملائكة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْقَهَّيْرُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية 6].

(لا تتجلى بأحد في حمرة مرتين إثنين) دنيا وبرزخاً وآخرة إلى الأبد الواسع الإلهي الذي لا حد له ولا فوق ولا تغير عما هو عليه أزلاً وأبداً. و(لا) تتجلى (بصورة منها) أي: عن تلك الصور (لأخذ) من آحاد علمه الواسع القديم (مرتين) أي تجليين، فلا تكرار وإن التبس الأمر على العارف، كما قال تعالى: ﴿أَفَتَبْتَنَّا بِاللَّيْلِ أَلَمْ يَكُنْ لَيْلاً قَدْ كُنَّا فِي لَيْلٍ خَلَقَ جَدِيداً﴾ [ق: الآية 15].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَنًا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: الآية 9].

(قرآن) مقام، (الجنج) الذي قال تعالى في شأنه: ﴿وَأَنَّهُ مِنْ دَرَجَاتٍ مُبِينٍ﴾ [البقرة: الآية 22-20]، واليه ﴿يَلْجَأُ الْكَافِرُ الْقَابِضُ الْعَبْثُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: الآية 22]، واليه الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ إِلَهِكُمْ إِلَهُكَ إِنَّمَا يَكُونُ اللَّهُ بِدُونِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: الآية 10].

وهذا كله مبني عند العارفين من أهل الله تعالى - الذين هم أهل القرآن

وخاصته - على التحقيق بالفناء⁽¹⁾ في أنفسهم وفي جملة المخلوقات كلهم دنيا ويرزخاً وأخراً من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [المُضَمَّر: الآية 88]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [١١] وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحْمَن: الأيتان 26، 27] من غير تأويل ولا تحريف للكلام الإلهي، لأن أهل التأويل في قلوبهم زيغ كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ جِغَاءً﴾ [الكهف: الآية 1]، وقال مرة: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٢] عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشُّعَرَاء: الأيتان 193، 194].

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مُنْكَرٌ مِّنْ أُمَّ الْكِتَابِ وَلَمْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مَّنْ أَتَىٰ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: الآية 7] يدعون مشاركتهم مع الله تعالى في الوجود، بأن لهم وجود كما أن الله تعالى له وجود ﴿فَتَكُونُونَ مَا تَشَاءُونَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمُ الْوَسْوَ﴾ [آل عمران: الآية 7] وبالحمل على المفهوم العقلي ﴿وَأَتَتْكُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ [آل عمران: الآية 7] بتحريفه وتغييره إلى معاني أخرى عقلية ﴿وَمَا يَسْمَعُ تَأْوِيلُهُ﴾ [آل عمران: الآية 7] المطابق لما هو عليه ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِينَ يُشْرِكُونَ فِي آلِهَتِهِ﴾ [آل عمران: الآية 7] الإلهي كالأنبياء والأولياء الورثة ﴿يَقُولُونَ﴾ [آل عمران: الآية 7] حال من الراسخين أي القائلين ﴿مَا مَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: الآية 7] كما علمنا الله تعالى حيث قال: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرَّحْمَن: الأيتان 1، 2].

(1) الفناء: يزوال الرسوم جميعاً بالكلية في عين الذات الأحدية مع ارتفاع الإثنية وهو مقام المحبوبة.

وصورته في البدايات: الفناء عن العادات والمألوفات بامثال الأمور، وفي الأبواب: الفناء عن الهيئات الطبيعية النفسانية بالهيئات النورية القلية. وفي المعاملات: الفناء عن الأفعال البشرية بالأفعال الإلهية. وفي الأخلاق: الفناء عن الملكات النفسانية بالأخلاق الإلهية. وفي الأصول: الفناء عن إرادة الأغيار وطلبها، بإرادة الحق وطلبه. وفي الأودية: الفناء عن العلوم الرسمية، والحكم الفعلية، بالعلوم اللغنية والحكم الإلهية.

وفي الأحوال: الفناء من التعلق بالأكوان ومحبتهاء، بمحبة الرحمن. وفي الولايات: الفناء عن الصفات والتوجه نحو الذات. وفي الحقائق: الفناء عن الرسوم مع بقاء البقية الخفية، وعدم الشعور بالآنية النورية الموجبة للإثنية وهو مقام الخلقة.

ثم قالوا: ﴿كُلُّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿بَيْنَ وَتَوْتًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَقْلُوا﴾ [الأنبياء: الآية 7] فيؤمن به على الغيب عنه منسوباً عندهم إلى مشايخهم الراسخين في العلم ﴿إِلَّا أَقْلُوا﴾ أي أصحاب ﴿الأنبياء﴾ [الأنبياء: الآية 7]، أي العقول المهتدي بصفاء القلوب من المريدين الصادقين في طريق الله تعالى.

(الشامل) ذلك القرآن (لِلْمُتَنَبِّعِ) عقلاً وشرعاً، كالشريك لله تعالى والصاحبة والولد.

(والغيب) أي: المعلوم وهي المخلوقات، فإنها كلها ثابتة في عالم الإمكان، مقترنة غير موجودة إلا بطريق الأوهام العقلية عند الغافلين عن الله تعالى المتجلى الحق «أن» يطلعوا بعقلهم، وهو ظاهر لحواشهم الخمسة، ملتبس عليهم بالأعيان الثابتة من الأكوان.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاكَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فَتَنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: الآية 101].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَلْمِ بِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنعام: الآية 3].

والغافلون من العقلاء يتوهمون الحلول والاتحاد في مثل هذه الآيات، لدعوتهم الوجود للكائنات الثابتة بالتقدير، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ نَفْسٍ فَتَدَّرُ لَقِيرًا﴾ [الفرقان: الآية 2]، والشيء المقدر ثابت لا منفي، ولكن لا وجود له، والوجود كله لله تعالى.

قال سبحانه: ﴿يُتَبِّحُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّالِثِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الْقَلِيلِينَ﴾ [إبراهيم: الآية 27] وهم الذين يدعون الوجود لأنفسهم ولغيرهم مع الله تعالى، وما ثم إلا وجود واحد، وهو وجود الله تعالى خاصة، فيدعونه لأنفسهم ولغيرهم ظلماً منهم، ﴿وَيَقُولُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: الآية 27] بهم وهم لا يشعرون.

(وَفَرَّقَانِ) مصدر، فرق بينهما فرقاً وفرقانا فعل، ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: الآية 4] أي: يقضي ﴿وَرُؤُوسًا فَرَّقَتْهُ﴾ [الإسراء: الآية 106] فصلناه وأحكمناه، ذكره في القاموس.

وقال في المصباح:

«فرقت بين الشينين فرقاً من باب قتل فصلت أبعاضه، وفرقت بين الحق والباطل فصلت أيضاً، هذه هي اللغة العالية، وبها قرأ السبع في قوله تعالى: ﴿فَأَفَرُّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافاة: الآية 25]، وفي لغة من باب ضرب، وقرأ بها بعض التابعين».

(الفرقي) المقابل للجمع، وهو شهود الوحدة كثرة، والواحد كثيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْصَبْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية 1] أي: الكثرة، والجمع شهود الكثرة وحدة والكثير واحداً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: الآية 1].

(الفاصل) وصف للفرق، قال تعالى: ﴿فَصَلِّتَهُ تَتَابُعًا﴾ [الإسراء: الآية 12].

(يَهْنُ الْحَادِثُ) الذي لم يكن ثم كان من جميع الأشياء. (والقديم) وهو الله تعالى الحق، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: الآية 88]، فلا وجود لشيء مطلقاً، وإنما كل شيء ثابت مقدر بتقدير الله تعالى، لا منفي ولا موجود.

(صائم) دائم في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً إلى آخر عمره في الحياة الدنيا، لعدم دعواه النفسانية، فكان يقول في حلفه: «واللهي نفسي بيني» وهو عند ربه في جميع أحواله.

(نهار) شمس الأحدية المشرقة عليه، فكل أوقاته نهار، ولا ليل غفلة له،

ولا ظلمة شبهة فيه مصافت نهاره ذلك، إلى قوله ﷺ كما ورد في الحديث:
«لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ»^(١).

(إني) أي: تحقيقاً (أبيث) بحسب ما ترون مني في تناوب الليل والنهار علي (جُنْدَ رَبِّي) لا عند نفسي ولا عندكم، والحديث رواه البخاري:
«قالوا: إنك تُواصل؟ قال: لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ، إني أَطْعَمُ وَأَسْقِي أو إني أبيتُ أَطْعَمُ وَأَسْقِي».

وفي رواية عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ قَالُوا: إنك تُواصل؟ قال: إني لَسْتُ بِمِثْلِكُمْ، إني أَطْعَمُ وَأَسْقِي».

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تواصلوا فأهلكم أراد أن يُواصل حتى السَّحَرِ، قالوا: إنك تُواصل يا رسول الله؟ قال: إني لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إني أبيتُ لي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي وَسَاقٍ يُسْقِينِي».

وفي رواية عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ فِي الصُّومِ رَحْمَةً لَهُمْ، فقالوا: إنك تُواصل، قال: إني لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إني يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي».

وفي رواية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ فِي الصُّومِ، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله؟ قال: وَأَيْكُمْ مِثْلِي؟ إني أبيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي».

(١) ونصه في رواية: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تواصلوا قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: إني لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ إِنْ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي» رواه ابن حبان في الصحيح، فصل في صوم الوصال، حديث رقم (3574) ورواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في كراهية الوصال للصائم، حديث رقم (778) [148 / 3] ورواه غيرهما.

(وقائِم) في صلواته وعباداته ﷺ.

(لَيْل) قوله ﷺ: إنه (تَنَامُ هَيْنَايَ)، ولأجل هذا نام ﷺ ليلة الوادي⁽¹⁾، وما أبغضهم إلَّا حرُّ الشمس، فإنَّ نور الفجر وضوء النهار والشمس لا يدرك إلَّا بالبصر، لا يدرك ذلك بالقلب.

(ولا يَنَامُ قلبي) لأن قلبه عند ربِّه، والربُّ تعالى لا تدركه سنة ولا نوم، والذي عنده ملحق به، وهو الرُّوح الذي من أمره، الحديث رواه البخاري في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - في حديث طويل، قالت: «يا رسول الله تنام قبل أن تُوتر؟ قال: تَنَامُ هَيْنَايَ ولا يَنَامُ قلبي»⁽²⁾.

وفي رواية أنس بن مالك - رضي الله عنه - يحدث عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة، جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيُّهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك، فلم يرهم حتى جاؤوا ليلة أخرى فيما يري قلبه، والنبي ﷺ نائم عينا ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل عليه السلام ثم عرج به إلى السماء»⁽³⁾.

(1) ونص الحديث في صحيح البخاري: «عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة فقال بعض القوم: لو حرمت بنا يا رسول الله، قال: أخاف أن تناموا عن الصلاة، قال بلال: أنا أوقظكم. فاضطجعوا وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس فقال: يا بلال أين ما قلت؟ قال: ما ألقيت عليّ نومة مثلها قط، قال: إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها عليكم حين شاء يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة، فتوضأ فلما ارتفعت الشمس وابيضت قام فصلى.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه...، حديث رقم (3376) [3/1308] ورواه غيره.

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه...، حديث رقم (3377) [3/1308] ورواه غيره.

(وَاسْطَـةٌ) هو ﷻ (مَا بَيْنَ الوجودِ) الحق سبحانه وتعالى (وَبَيْنَ العدمِ) الثابت بإثباته تعالى، متوجهاً عليه بالوجود الحق جلّ وعلا، وذلك العدم هو جملة المخلوقات التي هي ﴿كُلُّ شَيْءٍ عَالِقٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصّر: الآية 88]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: الآية 26، 27].

قال تعالى مشيراً إلى ذلك: (مَرْجٌ) مرج كفرج، وأمر مريج: مختلط، ذكره في القاموس، وقال الجوهرى في الصحاح:

«قوله تعالى: ﴿مَرْجَ الْبَحْرِ يَبْتَئِينَ﴾ [الرحمن: الآية 19] أي: خلاهما لا يلتبس أحدهما بالآخر، قال الأخفش ويقول قوم: أمرج البحرين مثل مرج فعل وأفعل، والمرج بالتحريك، مرج الخاتم في إصبعي بالكسر أي: فلق مثل جرح، ومرج الدين والأمر اختلط واضطرب».

(﴿الْبَحْرَيْنِ﴾) بحر الوجود الحق المطلق بالإطلاق الحقيقي بحيث إنه لا يتقيد ولا يقيد الإطلاق، وبحر العدم الذي هو قيود مجردة ثابتة مقفلة بتقدير الوجود الحق القديم، ولا وجود لها من نفسها أصلاً، والوجود الظاهر عليها من غير مماثلة ولا حلول هو الوجود الحق جلّ وعلا.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البزج: الآية 20]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: الآية 6]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [مُود: الآية 12]، فهو الذي يتصرف عن كل شيء بطريق الوكالة عنه، فالمتصرف هو الشيء لكن بوكيله وهو الله تعالى لا بنفسه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [مُود: الآية 57]، وهذه الوسطة بين الوجود والعدم جامع بينهما، روحه من أمر الله، لا يخفى أمر الله النازل إليه، وهو الوجود الحق الغالب على عدم الصورة الكونية والخلقة المحمدية ﷺ.

وقوله: (﴿يَبْتَئِينَ﴾) أي كل واحد منهما يلتقي مع الآخر من غير من ولا

حلولٍ ولا اتحادٍ وإن توقفت العقول المحجوبة شيئاً من ذلك، فإنَّ الوجود كيف يمكن أن يمسَّ العدم أو يحلَّ فيه أو يتحد به أو يخالطه؟ وكذلك العدم كيف يمكن أن يمسَّ الوجود أو يحلَّ فيه أو يتحد به؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(ورابطة) من ربطته ربطاً من باب ضرب ومن باب قتل لغةً شذذته، ذكره في المصباح، فالرابطة ما هو الوسيلة بين الشئين بحيث يربط أحدهما بالآخر.

(تَعَلَّقَ الْخَلْقُ) الذي هو ظهور المخلوقات بنور وجود الخالق، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نُوِّرَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [التور: الآية 35].

(بِالْقَدَمِ) وهو حضرة الوجود الحق تعالى المتوجه بأمره القديم على معلوماته المترتبة في حضرة علمه، ولها مقادير معلومة له تعالى لا تظهر إلا بها.

قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُنَا﴾ أي: بين هذين البحرين ((بَرْزَخُ)) [المؤمنون: الآية 100] أي: حاجز بين الشئين أي: العبد والرب تعليماً وإرشاداً، قال في القاموس:

«البرزخ: الحاجز بين الشئين، ومن وقت الموت إلى القيامة، ومن مات دخله».

وقال الجوهر في الصحاح:

«البرزخ الحاجز بين الشئين، والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ».

وهي الحقيقة المحمدية، فصاحب الموت الاختياري بالتحقيق في مقام الإسلام لله رب العالمين ﴿أَتَمَّتْ وَجْهَ نُّورٍ﴾ [آل عمران: الآية 20] مات عن دهرى نفسه «و» دخل هذا البرزخ، وهو حقيقته التي خلق منها، وهي نور

محمد ﷺ الذي من نور الله إذا لم تغيّره الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿أَطْمَرْنَا أَنَا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَوْبٌ وَأَنَّهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَسْفَلَ الْكَفَّارِ نَبَالُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْدُهُ مُصْفًى ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ حُطَبٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُودِ ﴿٧٠﴾﴾ [التخديد: الآية 20]، فالموت منها دخول في البرزخ المذكور إذا كان سالماً من غرورها.

﴿لَا يَبْيِغُنَّ﴾﴾ [الرحمن: الآية 20] أي: لا يبغى أحدهما على الآخر، فالحادث حادث، والقديم قديم، قال في المصباح: «بغى الناس بغياً ظلم واعتدى، وبغى سعى في الفساد». وقال في القاموس:

«بغى عليه يبغى بغياً علا وظلم وعدل عن الحق واستطال وكذب». فمن أذهى الوجود فقد بغى على الله، لأنه ثابت لا موجود، فإذا مات على ذلك بغى وكان في الآخرة على ما مات عليه، قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فِي هَذِهِ مَعًا فَنُورٍ فِي الْآخِرَةِ أَمْثِلْ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الاسراء: الآية 72]. (فلللكة): أي هذا المذكور بالأوصاف الكاملة هو (دَقْتَرِي) أي: مجموعة فيه ما تفوق.

قال في المصباح:

«الدقتر جريدة الحساب وكسر الدال لغة حكاها الفراء وهو عربي، قال ابن دريد: ولا يعرف له اشتقاق، وبعض العرب يقول: تفتّر على البديل كما تقول: فتق على البديل»^(١).

الاسم الإلهي (الأول) في حضرة العلم القديم الجامع لكل شيء عديم.

(١) قال الفراء: سمعت أعرابياً من قضاة يقول: فتق للفندق، وهو الخان (انظر تاج العروس للزبيدي شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي البصري الحنفي، مادة فتق) أبدلت الدال تاء.

(و) الاسم الإلهي (الأخبر) في حضرة الكون الحادث الجامع بكل شيء
الله به عليم.

(وَمَرْكَز) هو مكان المركز.

قال في المصباح:

«ركزت الريح ركزاً من باب قتل أثبتة في الأرض فارتكز، والمركز [وازن
مسجداً]» موضع الثبوت.

وقال في القاموس:

«ركز الريح يركزه ويركزه عُزَّزَه في الأرض... وركز العرق اختلج
كارتكز، والمركز وسط الدائرة وموضع الرجل ومحلّه، وحيث أمير الجند أن
يَلْزَمُوهُ».

(إِخَاطَة) أي: جمعية الاسم الإلهي (الباطني) بحيث لا يمكن أن عمله
سواه.

(و) الاسم الإلهي (الظاهري) بحيث لا يمكن أن يغيب عن أحد مطلقاً في
الدنيا والبرزخ والآخرة، سواء عرفه مَنْ عرفه أو جهله مَنْ جهله أو أنكره مَنْ
أنكره.

(حَبِيبُكَ) أي: محبوبك، والخطاب لله تعالى السابق ذكره في ابتداء هذه
الصلاة بقوله: «اللَّهُمَّ أَي: يا الله».

قال في المصباح:

«أحببت الشيء - بالالف - فهو محبٌ واستحيبته مثله، ويكون الاستحباب
بمعنى الاستحسان، وحيبته أحبه من باب ضرب والقياس أحبه بالضم لكنه غير

مستعمل، وحيته أحبه من باب تعب لهذيل، حابته حباباً من باب قاتل، والحب اسم منه وهو ميل القلب إلى الشيء، وقد يكون بالتفضيل له على غيره، فهو محبوب وحبيب وحب بالكسر، والأنثى حبيبة وجمعها حبايب، وجمع المذكر أحياء.

(الذي استجليت) من جهة صفاتك وأسمائك، أي: كشفت وأظهرت.
(به) برسمه الفاني وإثباته الذاتي (جَمَالَ فَلَيْتُكَ) أي حسن وجودك الذي هو وجهك الواحد الأحد ليس الذي معه في وجوده أحد.
(على منصبة) بكسر الميم.

قال في المصباح:

«نص النساء العروس نصاً رفعنها على المنصة وهي الكرسي الذي تقف عليه في جلانها بكسر الميم».

لأنها (تجلّياتك) جمع تجلّي وهو انكشاف الوجود الإلهي الحق بالعوالم الفانية الباطلة انكشافاً للعوالم من أنفسها لأنفسها، وهي حضرة تعالى حضرة صفاته وأسمائه، وحضرة الذات العلّية مكشوفاً لها الأمر في نفسها لنفسها، و﴿اللَّهُ مَعِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية 97] لا يحتاج في ظهوره لنفسه إلى شيء من هذه الذاتيات ليظهر بها.

(وَنَصَبْتَهُ) أي جعلته (قِبْلَةً) سميت بذلك لأن المصلّي يقابلها، ذكره في المصباح.

وقال في القاموس:

«القبلة... وبالكسر التي يصلّي نحوها، والجهة والكعبة وكل ما يُستقبل».

(إِتَوْجُهَاتِكَ) آثار صفاتك وأسمائك وصور مخلوقاتك (في جامع تجلّياتِكَ)
أي: انكشافاتك وظهوراتك في كل شيء بعيون مخلوقاتك لمخلوقاتك، كما قال

تعالى: ﴿وَشَاقِرٌ وَشُورٌ ①﴾ [البزرج: الآية 3]، وفي حديث المتقرب بالنوافل: «كُنْتُ سَمْعَةَ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَيَضْرِبُ اللَّيْلِي يُضْرِبُ بِهِ»⁽¹⁾.

(وَعَلَّغْتُ) من قولهم: خلع عليه خلعة، ذكره في صحاح الجوهري، وقال في القاموس:

«خلعت العضاء»⁽²⁾ أورقت كأخلعت، والخلعة بالكسر ما يخلع على الإنسان، وخيار المال، ويضم. (عليه) أي على النبي ﷺ.

(بِخَلْعَةٍ) - بالكسر والضم - الصفات، فظهرت صفاتك عليه، وما أذاعها لنفسه، لأنه المتخلق بها، كما قال ﷺ: «إِنَّ لَهُ مِائَةَ خُلُقٍ وَسِبْغَةَ عَشْرِ خُلُقًا، مَنْ أَتَاهُ بِخُلُقٍ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽³⁾.

وروى المناوي في شرح الجامع الصغير عن الطبراني في الأوسط مرفوعاً: «إِنَّ لَهُ عِزًّا وَجَلًّا لَوْحًا مِنْ زَبَرْجَدٍ مَحْضَرَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ كُتِبَ فِيهِ: أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، خُلِقْتُ بِضِعَةِ عَشْرٍ وَثَلَاثِمِائَةِ خُلُقٍ، مَنْ جَاءَ بِخُلُقٍ مِنْهَا مَعَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽⁴⁾ وإسناده حسن.

(الصفات) الإلهية، وهي المكنى عنها بالأخلاق باعتبار ظهورها في المخلوقين، ولا يتنبه إليها إلا الكاملون من العارفين، وقد أعرض عنها كل الغافلين، وادعوا لأنفسهم.

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (6137) [5/2384] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله...، حديث رقم (347) [2/58] ورواه غيرهما.

(2) العضاء: كل شجر يعظم وله شوك (انظر الصحاح للجوهري، مادة عضه).

(3) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أبو يعلى في المسند الكبير [1/36].

(4) رواه أبو الشيخ في العظمة، ذكر شأن ربنا تبارك وتعالى...، حديث رقم (45) [2/497] ورواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في الدعاء والمسألة من الله عز وجل حسن الخلق، حديث رقم (8540) [6/364].

(وَالْأَسْمَاءُ) جمع اسم، وهي ظهور تلك الصفات، فالحياة والعلم والإرادة مثلاً صفات، والحيّ والعالم والمريد أسماء.

(وَقَوْجَتُهُ) أي جعلت له ﷺ تاجاً، وهو يُلبس على الرأس للزينة، قال في المصباح:

«التاج للمعجم، وجمعه تيجان، ويقال: تَوَجَّ إِذْ سَوَّدَ، أي جُعِلَ سَيِّداً على قوم وألبس التاج، كما يقال في العرب: عُمِّمَ». وقال في القاموس:

«التاج: الإكليل، وجمعه تيجان، وتَوَجَّه فتَوَجَّج: ألبسه إِيَّاه فلبس». (بِتَاجِ الْخِلَافَةِ) عنك وهي جعلك له سبباً في إظهار التصرفات الإلهية في جميع البرية.

(الْعُظْمَى) وصف الخلافة، لأنه أظهر من الله تعالى ومن تصرفات وحده في جميع المخلوقات، سواء كان التصرف بأسباب أو بغير أسباب. (وَأُنْزِلَتْ) خطاب لله تعالى كما قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [الأنعام: 101]، والإسراء: الآية 1، والإسراء مسند في الآية إلى الله تعالى لا إلى النبي ﷺ، وهو فعل المستخلف بالخليفة، منسوب إلى الخليفة.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الصفافات: الآية 96]، أي وأعمالكم، وهكذا الأمر في كل خليفة، سواء عرف أو لم يعرف.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ آتَى الْيَتِيمَ مِمَّا بِيَدِهِ وَكَمَلُوا أَصْنَانَهُمْ لِيَسْخَرُوا فِي الْأَرْضِ سَكَنًا اسْتَخْلَفَ الْيَتِيمَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيَمْكُنَنَّ لَهُمْ فِي بَيْنِهِمُ الْيَتِيمَ الَّذِي تَرَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَهُمْ مِنْ بِدْوِهِمْ أَمْثًا يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النور: الآية 55].

(بِحَسْبِهِ) ﷺ الذي كان في مكة.

(بِغُفْلَةٍ) مصدر بَقِظَ.

قال في المصباح:

«يقظ من باب تعب، ويقظة بفتح القاف ويقظة خلاف نام، وكذلك إذا انتبه للأمور وأيقظه - بالالف - واستيقظ وتيقظ، ورجل يقظان وامرأة يقظى».

وقال في القاموس:

«الْيَقَظَةُ: محركة نقيض النوم، وقد يَقْظُ كَكُرْمٍ وَفَرَحٍ يَقَاظَةً ويقَظاً [محركة ورجل يقظ ج: أيقاظ، وهي يقظى ج: يقاظى».

(مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) مسجد مكة المحترم (إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) مسجد بيت المقدس، قال في المصباح:

«قصي المكان قصواً من فقد بعد فهو قاص، ويلاد قاصية المكان، والمسجد الأقصى: الأبعد».

(حَتَّى لَنْتَهَى) من انتهى الأمر بلغ النهاية، وهي أقصى ما يمكن أن يبلغه، وانتهيت الأمر إلى الحاكم - بالالف - أعلمته به، ذكره في المصباح، أي: وصل في إسرائه بالعروج حتى انتهى.

(إِلَى بِلْدَةٍ) اسم شجرة، قال في المصباح:

«السدر: شجرة النبوة، والجمع سدر، ثم يجمع على سدرات فهو جمع الجمع».

وسدر المتتهى هذه غاية ما ينتهي إليه عمل العاملين من الخير، وعندها الجنة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْزِلْ إِلَى الْكَلْبِ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَمَنْ يَنْزِلْ إِلَى الْكَلْبِ﴾ ﴿١٥﴾ [النجم: الأيتان 14، 15].

وقال البيضاوي: «سدر المنتهى التي ينتهي إليها أعمال الخلائق وعلمهم».

فكان إسرائا الله تعالى بالنبي ﷺ من أسفل العالم إلى أعلاه، فأطلعه على ما اشتمل عليه العالم من أوله إلى آخره، «و» من مبدئه إلى منتهاه.

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَكْ رِبَكَ الشَّهْرُ﴾ [النجم: الآية 42]، وهو انتهاء العوالم كلها، منه بدء الأمر وإليه «المنتهى».

(الْمُنْتَهَى) ﷺ بعد أن رأى العوالم كلها ما مضى وما سيأتي، والكل عنده حاضر، حيث خرج الزمان العلوي والمكان السفلي بإخراج الله تعالى له الذي أسرى به ليلاً أي: في ظلمة ليل الأكوان، فلما انتهى في ذلك كشف له عن حضرة العيان، فأشرق عليه نور الكشف والبيان، وعابن حقيقة ذات القرآن، وهذا معنى الترقى، أي: الصعود إلى أعلى من ذلك، قال في المصباح:

«رقيت السطح والجبل: علوته، يتعدى بنفسه».

(وَقَرَفَى) منزلة (إلى منزلة قَابِ قَوْسَيْنِ) القاب من القوس ما بين المقبض إلى السيئة، ولكل قوس قابان، والسيئة - بالكسر مخففة - ما عطف من طرفي القوس، وهذه المنزلة مقام شهود النبي ﷺ لربه في جملة العوالم العلوية والسفلية من الماضي والآتي، والكل حال حاضر عنده، وهو تعالى الظاهر المتجلي بكل ذلك، وهو أيضاً تعالى الباطن المنزه عن كل ذلك.

فكُنَى بالقوسين عن الظاهر والباطن، وعن الأول والآخر، والظاهر والباطن، وذلك لأن سهام التقادير الكونية تخرج بالرامي من قيس الأفلاك العلوية.

والقاب ما بين مقبض الحق بيده وبين موضع السبب وهو الوتر، فالقوسان قوس العلم الإلهي وقوس الظل الظاهر على طبق القديم، وظهوره في نور الذات كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا تُرَى السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [النور: الآية 35]، فإن الظل لا بد له من شاخص يكون في النور حتى يظهر عنه الظل.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِنَّا رَبُّكَ كَيْفَ مَدَّ الْوَلَدَ﴾ [الفرقان: الآية 45]، وكل قوس له قابان: قاب سفلي، وقاب علوي، كالسماوات والأرض، وهذا مقام شهود الله تعالى، وهو شهود النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْقُرْبَى﴾ [آل عمران: الآية 18] - أي: العلم بالله - وهم الأنبياء والمرسلون والأولياء، يعلمون الله تعالى بعلمه للعالم لا بأنفسهم، «ويعلمونهم العقلية».

(لو أدقني) أي: القرب من ذلك، فإن رؤية الحق تعالى بالظاهر والصور الكونية يستى شهوداً، وهو رؤيته تعالى موصوفاً بالأوصاف مستى بالأسماء، وأما مقام الذات فهو أعلى من ذلك، وليس في هذا المقام شيء مطلقاً لا رائي ولا مرئي، ولا شاهد ولا مشهود، وهو الغيب المطلق.

وهكذا الشأن لا يجده أحد إلا صاحب هذا المقام المحمود الذي لا ينبغي إلا لرجل واحد كما قال ﷺ: «وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَتَا ذَلِكَ الرَّجُلَ»⁽¹⁾، وكل ولي مقرب ونبي ورسول يرجو أن يكون هو ذلك الرجل، أمر ذوقني وجداني انقطع عنده الكلام، وانطوت الصحف، وارتفعت الأقلام، فمن آمن به وصدق على غيبه كمل إيمانه، وصدق إذعانه، وكان من الأمنين، ومن أنكره وكذب به كشف عن جهله وقبح سريره بين العالمين.

وللبوصيري الشاذلي (قدس سره) في همزته المديح النبوي المحمدي قوله:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء

والى ذلك الإشارة القرآنية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهِكَ يَبَاطِنُكَ إِنَّمَا يَبَاطِنُكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: الآية 10] أي: الحقيقة الذاتية بالنسبة إليه ﷺ ﴿بَدُّ لَوْ فَوْقَ

(1) رواه بنحوه الترمذي في السنن، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3614) [586/5] ورواه أحمد في المسند، برقم (6568) [2/168] ورواه غيرهما.

أَبَدِيَّتِهِمُ﴾ [الفتح: الآية 10] بالنسبة إليهم، وهي الحضرة الصفاتية والاسمائية، ولهذا قال بعده: ﴿فَمَنْ لَكَ لَمَنَّا بِكَ عَلَى قُوسٍ وَمَنْ لَوْ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ﴾ [الفتح: الآية 10] في عالم الذرة، وهو عهد ربوبيته لهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: الآية 172].

(فُسِّرَ) فعل دعاء خطاب لله تعالى، أي: اجعله مسروراً بفرح كمال العرفان، وتحقيق مقام الكشف والعيان.

(فُؤَادُهُ) أي قلبه ﷺ (بِشُهُودِكَ) الدائم وحياتك القائم.

(خَيْثُ لَا ضَبَاحَ وَلَا مَسَاءَ) في عالم الأكوان، فلا نور ولا ظلمة ولا كلام ولا كلمة، والشاهد في حضرة الكلام القديم وكلمة الأمر الحكيم قوله تعالى: ﴿مَا كُتِبَ الْفُؤَادُ﴾ [النجم: الآية 11] أي: قلبه ﷺ (مَا رَأَى) أي: رؤيته أو مرثيه أو الذي رأى، والرؤية منه ﷺ محققة في جملة العالم العلوي والعالم السفلي، ورؤية الحضرات الصفاتية والاسمائية إذا حضر وإذا غاب، فرؤيته ذاتية من الطرفين، طرف الشاهد وطرف المشهود.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَكَانًا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: الآية 101]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية 3]، ومعلوم أن ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 28]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَسْبِقُ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: الآيتان 26، 27].

وقال ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»، وهو الآن على ما عليه كان، فلا حلول في معنى في، ولا اتحاد إلا عند أهل الفساد في الاعتقاد.

(وَقَرَّ) فعل دعا أيضاً خطاب لله تعالى، معطوف على فعل الدعاء الأول وهو قوله: أسر من السرور، وأصله أقر بكسر القاف، قال في المصباح:

«قرّ اليوم قرّاً: برد، والاسم القرّ - بالضم - فهو قر تسمية بالمصدر، وقارّ على الأصل، أي: بارد، ولينة قرّة وقارّة وقرّة، وقرّت العين قرّة - بالضم - وقروراً بردت سروراً، وأقرّ الله العين بالولد وغيره إقراراً بالتعديّة».

(بَصْرَة) ﴿يُؤْجِبُوكَ﴾ الذي هو وجهك الظاهر المحيط بكل شيء ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 88].

(خَيْثُ لَا خَلَاءَ) أي: فراغ.

قال في القاموس:

«خلى المكان خلواً وخلأ وأخلى واستخلى: فرغ، ومكان خلأ: ما فيه أحد».

وقال في صحاح الجوهري:

«الخلأ: المكان الذي لا شيء به».

(وَلَا مَلَأَ) هو خلاف الخلأ من قولك: ملأت الإناء ملأ من باب نفع فامتلاً، ولا خلأ ولا ملأ، فإن الخلأ هو الموهوم كما حققه السعد في شرح عقائد النسفي وغيره، والملاء هو الخيال الموهوم أيضاً بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص: الآية 88]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الزحزن: الآية 26].

وقوله ﴿كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ﴾ وهو الآن على ما عليه كان، وإذا كان الأمر كذلك فقد قال شيخنا الولي الكامل العارف محيي الدين ابن عربي (قدس سرّه):

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة

كل من يعرف هذا حاز أسرار الطريقة

قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ﴾ [النجم: الآية 17] أي: مال.

قال في الصحاح:

«زأغت الشمس تزيع زيعاً: مالت، وزاغ الشيء كذلك ويزوغ زوغاً».

وقال في القاموس:

«الزَيْغ: الشك والجور عن الحق».

﴿البَصَرُ﴾: المصحدي في رؤيته، يعني: ما مال عن ربه إلى رؤية غيره، ولا داخله شك في أنه ربه، وما طغى، يقال: طغى طغوا من باب قال، وطفى طغياً من باب تعب، ومن باب نفع لغة أيضاً فيقال: طغيت والاسم الطغيان، وهو مجاوزة الحد، وكل شيء جاوز المقدار والحد في العصيان فهو طاغ، وأطغيته جعلته طاغياً، وطفى السبيل ارتفع حتى جاوز الحد في الكثرة، ذكره في المصباح.

﴿وَمَا كُنْ﴾ [النجم: الآية 17] البصر أيضاً، أي جاوز حده في الرؤية، فإن الرؤية متعلقها ظاهر المرئي دون باطنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: الآية 13] يعني: نزلة جسمانية بعد النزلة الروحانية، وهذه المنزلة الأخرى كانت ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: الآية 14] التي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم. ثم قال تعالى: ﴿وَمِنَهَا﴾ أي: عند سدره المنتهى ﴿جَنَّةٌ لِّلْأَنبِيَاءِ﴾ [النجم: الآية 15] في عالم الجسمانيات.

﴿إِذْ يَتَنَبَّأُ الْوَهْدَى مَا يَخْتَلِفُ﴾ [النجم: الآية 16] من العلوم والأعمال الصالحة التي هي كلها تجليات إلهية وظواهر ربانية.

ثم قال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ [النجم: الآية 17] عند ذلك ﴿وَمَا كُنْ﴾ [النجم: الآية 17] في الزيادة على ذلك.

وقال قبله تعالى: ﴿الْمُتَنَبِّئِينَ﴾ [النجم: الآية 12] أي: تجادلونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَوْنَ﴾ [النجم: الآية 12] ولم يقل على ما رأى.

ولأنه ﷺ كان له دوام الرؤية من غير غفلة إلا أحياناً أشار إليها بقوله ﷺ: «إِنَّهُ لَيُهَيِّئُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَفْهِزُ اللَّهَ»⁽¹⁾ حتى قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي - قلنس سره -: «إنه حين أنوار لا حين أخيار».

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(صَلِّ) فعل دعا (اللَّهُمَّ) أي: الله (خَلِيهِ) أي على النبي ﷺ (صَلَاةً) هي من الله تعالى الرَّحْمَةُ، والنبي ﷺ هو الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية 107].

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: الآية 54]، فهو ﷺ الرحمة المكتوبة - أي المخلوقة - على نفسه تعالى حجاباً عند قوم ومظهراً عند قوم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهِكُمْ يَكْفُورُكَ إِنَّمَا يَكْفُورُكَ اللَّهُ بِذَلِكَ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: الآية 10].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية 156]، وهي نور محمد ﷺ المخلوق من نور الله، وقد خلق الله تعالى من نوره ﷺ كل شيء، فرحمة الله قديمة، لأنها من صفاته تعالى، وهي نوره تعالى الذي خلق منه نور محمد ﷺ، وهو: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: الآية 35] بنور محمد ﷺ المخلوق، فالمطلوب بهذه الصلاة اللحاق به ﷺ، ولهذا قال:

(يَصِلُ بِهَا) أي: بهذه الصلاة (فَرَجِي) الذي هو جملتي روحاً ونفساً وجسداً (إِلَى أَصْلِي) الذي هو نور محمد ﷺ.

(فَيَصِلُ) بها أيضاً (بَغْضِي) أي: كلُّ بعض من هذه الأبعاض الثلاثة: الروح، والنفس، والجسد (إِلَى كُلِّي) الذي هو النور المحمدي.

(لَتَتَّحِدَ ذَاتِي بِلِقَائِهِ) ﷺ بجملته، وقد خلق من حقيقته ﷺ، فيرجع إلى من خلق منه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية 128].

وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلَتَصْنَعَنَّ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: الآية 39].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَأَمَّا نَسْتَنُكُّهُ لِنَفْسِي﴾ [طه: الآية 41] وكل بني آدم كذلك.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْوَعْرِ وَالْبَحْرِ وَنَزَّلْنَاهُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الأنعام: 70].

ولكن منهم من هداه الله لمعرفة نفسه، ومنهم من أضله، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَهْتَفَنَّا فَلَمَّا يَتَذَكَّرُ لِنَفْسِهِ﴾ [يونس: الآية 108] أي لمعرفة نفسه فيعرف بها، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يَبْذُلْ عَلَيْهَا﴾ [يونس: الآية 108] أي على نفسه، فلا يعرفها، فلا يعرف ربه.

وقال تعالى: ﴿اتَّخَذَ السَّالِفِينَ الْآخِرِينَ ۖ لَأَكْفُرَ بَكُم مِّمَّا كَفَرْتُمْ﴾ [الأنعام: 35، 36].

(وتشدد) أي: تصير واحدة (صِفَاتِي) جمع صفة، بالمتابعة له ﷺ والافتداء به بلا سؤال عن حكمة شيء من ذلك، ولا طلب معرفة سبب ولا حلة، وإنما المقصود المتابعة والافتداء، قال تعالى: ﴿وَأَلْهَمُوهُ لَمَسَكُم مِّنْهُنَّ﴾ [الأعراف: الآية 158].

(بِصِفَاتِهِ) ﷺ (وَتَجَرُّ) أي: تسكن وتبرد (الغَيْنُ) أي ذاتي المتوَدِّدة المتحيرة الحارة بكثرة الحركة من الاستقاء الموهوم (بِالْعَيْنِ) أي الذات المحمدية التي هي نشأني (وَتَجَرُّ) أي يذهب بسرعة عني (مِنَ الْبَيْنِ) أي: البعد والمفاخرة الوهمية (مِنَ الْبَيْنِ) أي: بيني وبينه ﷺ.

(وَسَلَّمَ) معطوف على «صل» وهو فعل دعا أيضاً بالسلامة من كل نقص.

(هَلِيهِ) ﷺ وهو سالم من ذلك، لتحقيق عصمته وحفظه على اليقين، ولكن لتعود فائدة هذا الدعاء إلى الداعي، ولهذا قال:

(سَلَاماً أَسْلَمُ بِهِ) أي أصير به سالماً بسببه (في) سلوكي طريق (مُتَابِعَتِهِ) ﷺ، والافتداء به (مِنَ التَّخَلُّفِ) عنه بتشديد اللام.

قال فى المصباح: «تخلف عن القوم إذا قعد عنهم ولم يذهب معهم، وخلف الرجل الشيء - بالتشديد - تركه بعده».

(وَأَسْلَمَ) أيضاً (فى) سلوك (طريق شريعته) ﷺ، وهى الأحكام التى كلف الله تعالى بها عباده المؤمنين فعلاً، وكفى بنية التقرب بها إليه تعالى.

(مِنَ التَّعَسُّفِ) يقال: عسف فى الأمر فعله من غير رؤية، ومنه عسفت إذا سلكت على غير طريق، والتعسف والاعتساف مثله، وهو راكب التعاسيف وكأنه جمع تعساف - بالفتح - مثل التضارب والتناقل والتراجل حال من الضرب والقتل والرحيل والتفاعل، مطرد فى كل فعل ثلاثي، ويان يعسف الليل عسفاً إذا ضبطه يطلب شيئاً.

(لَا تَفْتَحْ) عنده فائدة أخرى يعود نفعها عليه وهى فتح (بَابِ مَخْبَيْتِكَ)، الخطاب لله تعالى الذى دعاه أولاً بقوله ﷻ وثانياً بقوله ﷻ.

(إِنِّي) بحيث تحبني كما قال تعالى: ﴿مَوَدَّةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ يُحْيِيهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [المائدة: 54].

(بِمِفْتَاحِ مُتَابَعَتِهِ) ﷻ والافتداء به، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

(وَأَشْهَدُكَ) ولا أشهدك معانياً لحقيقة الوجود، وهو وجهك الحق ظاهراً إلى (فى) شينية (خواسيني) الهالكة المعدومة الفانية، وخواسني هى القوى الخمسة: سمعي، وبصري، وشمّي، وذوقي، ولمسي.

(وَأَحْضَائِي)، هى جوارحي الخمسة: الأذنان، والعينان، والأنف، واللسان، وبقية البدن كله، وهذه القوى الخمس والجوارح الخمس كلها أشياء هالكة فانية معدومة، غير أن الله تعالى مثبتها بقوله الثابت، وهو أمره لها بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: 73]، وليس شيء منها منفيّاً، لأن الثبوت ضد النفي، والثابت لا يكون منفيّاً، كما أن الوجود خلاف العدم.

والله تعالى هو الوجود، وكل ما سواه عدم، ولكنه عدم، ثابت بإثباته تعالى بأمره قال تعالى: ﴿يُشَبِّهُ لَكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية 27]، فالذين آمنوا بالله، الوجود الحق، هم الذين يشبههم الله تعالى.

ولم يقل: يوجد الله تعالى، لأنهم غير موجودين، والوجود عندهم هو الوجود الحق الواحد الأحد المحيط بكل شيء، وهم المعدمون الثابتون بالقول الثابت في حياتهم الدنيا وفي الآخرة ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الْفَاطِلِينَ﴾ [إبراهيم: الآية 27] الذين يذهبون الوجود الحق المحيط بهم أنه وجودهم.

والوجود عندهم اثنان:

1 - وجود حادث.

2 - وجود قديم.

فالوجود الحادث لهم، والوجود القديم لربهم، وهذه دعوى منهم لا بينة عليها لا من كتاب ولا سنة، ونحن مأمورون بمتابعة الكتاب والسنة لا متابعة العقول، وإنما الكتاب والسنة يردانها على القائل بها ما لو لم تقولوا الآيات والأحاديث ويحرفونها عن مقتضى اللغة العربية.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 28]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا كَانَ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: الآيتان 26، 27]، والأصل في اسم الفاعل أنه للحال.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية 3]، وقال النبي ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ»⁽¹⁾، وهو الآن على ما عليه كان.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(مِنْ مَشْكَاةٍ) بالكسر هي كل كوة غير نافذة، ذكره في القاموس.

(فَرْجِهِ) الذي أنا قائم بإقامته تعالى فيه ممثلاً أمره ومجتنباً نهيه.

(وَطَافِيهِ) من غير مخالفة ظاهراً وباطناً، كما قال تعالى: ﴿وَأَقْبَهُ خَلْقُهُ وَمَا تَمَلَّؤُنَ﴾ [الضافات: الآية 96] أي: وخلق أعمالكم، فكانت الأعمال التي يخلقها الله تعالى - الشريعة والطاعات المرضية - بمنزلة المشكاة في جدار النشأة الجسمانية، والشهود حاصل منها لقلب العارف، فيكشف بذلك عن الحقائق والمعارف.

(وَأَفْخُلُ) معطوف على أشهدك (وَرَاءَهُ).

قال في المصباح:

«وراء كلمة مؤنثة تكون خلفاً وتكون قداماً، وأكثر ما يكون ذلك في المواقيت من الأيام والليالي، لأن الوقت يأتي بعد مضي الإنسان فيكون وراءه، وإن أدركه الإنسان كان قدامه.

ويقال: وراءك برد شديد، وقدامك برد شديد، لأنه شيء فهو من وراء الإنسان وهو بين يديه على تقدير لحوقه بالإنسان، فلذلك جاز الوجهان، واستعمالها في الأماكن سائغ على هذا التأويل في التنزيل: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِئَةٌ﴾ [الكهف: الآية 79] أي أمامهم انتهى.

ولما كان التوحيد الإلهي والتفريد الرباني محيطاً بالعوالم أزلاً وأبداً فعم وراء.

(إِلَى جُفْنِ) الحصن المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه، وجمعه حصون وحصن بالضم حصانة فهو حصين أي منيع، ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال: أحصته وحضته، ذكره في المصباح.

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إشارة إلى قوله ﷻ في الحديث القدسي: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

جِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ جِصْنِي أَمِنَ مِنْ هَذَابِي، فَإِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَبَّ التَّوْحِيدِ وَزِيْدَةُ الْبَحْرِ وَالْفَرِيدِ.

قال تعالى لنبيه محمد: ﴿قَاتِلْ أَتَّةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [مخمد: الآية 19].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية 25].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ قَالُوا آمَنَّا بِالَّذِي يُوحَىٰ بِالْأَوْسَطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: الآية 18].

(وَأَدْخُلْ فِي أَثَرِهِ) يقال: جئت في أثره - بفتحتين - وأثره - بكسر الهمزة والسكون - أي: تبعت عن قرب، ذكره في المصباح.

(إِلَى خَلْوَةٍ) يقال: خلى بزيد خلوة انفرد به، ذكره في المصباح.

قول النبي ﷺ: «لِي وَفَّتْ» أي: زمان يمر علي لا على الله (مع الله) أخلو به، «لَا يَسْتَعْنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ»⁽¹⁾، فالملك المقرب جبريل عليه السلام، والنبي المرسل هو نفسه ﷺ، فوقت خلوته مع أن يتجلى الله بنفسه لنفسه، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية 28]، أي: ذاته.

(إِذْ) لَأنه ﷺ (هُوَ بَابُكَ) المفتوح لا يخلق عن دعاء إلى الأبد (الَّذِي مَنْ لَمْ يَفْضُلْكَ) بالدخول إلى حضرتك (مِنْهُ) أي من جهته ﷺ (سُدَّتْ لَهُ) - بالبناء للمفعول - أي: سَدَّ الله تعالى عليه جميع (الطُّرُقِ) جمع طريق (وَجَمِيعِ الْأَبْوَابِ) جمع باب، فلا يمكنه أن يدخل إلى حضرتك، ولا يقدر أن يذوق طعم قطرة

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2159) [2/226] وقال: تذكره الصوفية كثيراً وهو في رسالة القشيري بلفظ: لي وقت لا يسعني فيه غير ربي ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي في حديث كان ﷺ إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه ثم جزأ جزاء بين وبين كل الناس كذا في اللآلئ.

من شربتك، ويقع في حبال شبكات الخيال، ويعبد رباً منحوتاً بفكره، لاستيلاء الغفلة عليه والخيال.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَشْكُرُونَ مَا نَتَّخِذُ مِنْكُمْ نَحْنُ ۖ وَاللَّهُ خَلْقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الصافات: الآيتان 95، 96].

(قوِّد) معطوف على سدّ، وهو مبني للمفعول أيضاً، أي: رقه الله تعالى وطرده حيث لم يقصده تعالى، فهو مردود غير مقبول، ومحروم من الترقّي في درجات النوصول.

(بعضاً) متعلق برّد، أي: مضروب من جهة الله بعضاً (الأدب) الذي هو أمر لازم في الدين، وهو شعار المسلمين، فإنّ دين الإسلام كله أدب في شأن رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَهْدَ الْإِسْلَامِ دِينًا كُنْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْأُخْرَىٰ مِنَ الْخَيْرِ ۖ﴾ [آل عمران: الآية 85].

(إلى إسطنبول) هو عربي، وقيل: معرّب، وهمزته أصلية، والجمع إسطبلات، ذكره في المصباح.

وقال في صحاح الجوهري: «الإسطنبول للدواب، واللغة أصلية، لأنّ الزيادة لا تلحق بنات الأربعة من أوائلها إلّا الأسماء الجارية على أفعالها، وهي من الخمسة أبعاد، قال أبو عمرو: والإسطنبول ليس من كلام العرب».

(الدواب) جمع دابة

قال في المصباح:

«كل حيوان في الأرض دابة، وخالف بعضهم فأخرج الطير من الدواب، وردّ بالسمع وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ تَلْوٍ﴾ [الشور: الآية 45]، فالذي خُلِقَ كُلُّ حيوان مميّزاً كان أو غير مميّز، وأما تخصيص الفرس والبغل بالدابة عند الإطلاق تعرف طارئاً، وتطلق الدابة على الذكر والأنثى، فالجمع الدواب».

ومعنى الرّد إلى إسطنبول الدواب بأن تبقى همته وشهوته ويطنه وفرجه مثل

الحيوانات، ولا همة له في طلب معرفة ربه، فيصير بيته الذي يسكنه وبيات فيه مملوءة من القاذورات، كدماء الحيض في نساءه والبول والغائط ملاحظة، والصنان⁽¹⁾ والروائح الممتنة فاتحة من فمه وثيابه وأواني طعامه وشرابه، فكأنه دابة ألقت جلالها، وما ألقت جلالها وهو في اسطبل بيته، ولا يقوم إلى الصلاة إلا كسالى وهو غافل عن ربه وعن دينه، في دنياه يقظان، وما ذلك إلا لإعراضه عن متابعة الرسول، والافتداء بشريعته الواجبة عليه.

(اللَّهُمَّ) يا الله (يا رَبِّ) يا مَنْ هو رب كل شيء أي مالكة ومريبه.

(يا مَنْ لَيْسَ جَبَابُهُ) عن خلقه (إِلَّا لِلنُّورِ) الذي هو كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ نُورٌ أُنْزِلَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35]، والسموات والأرض في نفسها لم تخرج من ظلمة عدنها - ونور الله لم يتغير - والأشياء أيضاً عن ظلمة عدنها، وتوجه النور عليها، وهو وجهه الباقي، والفناء لكل شيء.

(وَلَا خَفَاؤُهُ) عن جميع الكلام البصائر والأبصار، فإن جميع البصائر والأبصار أشياء هالكة إلا وجهه النور المبين الطاريء على الثوابت المترتبة من الممكنات المسماة بالعالمين، المرئية المشهودة بعد معرفتها أنها من المعدومات معدودة، فيحصل بذلك شهود المقربين ورؤية البصائر والأبصار من عباد الله الصالحين.

(إِلَّا شَيْئَةُ الظُّهُورِ) فإنه ظاهر بذاته، والأشياء المعدومات المقدرة بأسمائه وصفاته ليس معه منها شيء كما أنه ليس مع الشمس ونورها المشرق في.

(أَسْأَلُكَ) أي: أطلب منك (بِكَ) سواء على صادر مني بك لا بي، لأنني وجميع أفعالي وأحوالي صادرة عنك بنعم قولك: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الضلالت: الآية 96]، أي وخلق أعمالكم.

(1) الصن: بول الوبر وهو متن جداً... والصنان: ذفر الإبط، وقد أصن الرجل أي صار له صنان.

(فِي مَرْتَبَةِ إِطْلَاقِكَ) فَإِنَّ الإِطْلَاقَ لَهُ تَعَالَى مَرْتَبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِ، وَقِيدٌ مِنْ قِيُودِهِ، لِأَنَّ الإِطْلَاقَ رَفَعَ جَمِيعَ الْقِيُودِ عَنْهُ، وَالرَّفْعُ قِيدٌ مِنَ الْقِيُودِ، لِدُخُولِهِ تَحْتَ تَكْلِيفِ الْمَكْلُوفِينَ، حَيْثُ وَجِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْتَقِدُوهُ وَأَنَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11].

(عَنْ كُلِّ تَقْلِيدٍ) بِمِثَابَةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَةِ وَالْمَعْقُولَةِ، فَلَا يَدْرِكُهُ تَعَالَى الْحَسَّ وَلَا الْعَقْلَ، فَهُوَ غَيْبٌ الْغَيْبِ بِلَا شَبْهَةٍ فِيهِ وَلَا رَبِّ. (الَّتِي) وَصَفَ لِمَرْتَبَةِ الإِطْلَاقِ (تَغْلُ) يَا رَبَّنَا (فِيهَا) أَيُّ: فِي مَرْتَبَةِ إِطْلَاقِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَغَيَّرَ فِي ذَاتِكَ وَصَفَاتِكَ.

(مَا تَشَاءُ) مِنَ الْأَفْعَالِ (وَمَا تَرِيدُ)، وَلَا مَانِعٌ يَمْنَعُ، وَلَا شَيْءٌ يَمْتَنِعُ، وَإِنْ مَنَعَ الْعَقْلُ فَلَا يَحْتَسِبُ مَنَعُهُ مَعَ الشَّرْعِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ كَذُوبٌ يُكَلِّمُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَا فَهْمٌ لَهُمْ لِمَا قَالُوا فَهُمْ لَكُمْ لَبِئْسَ ثَلَاثَةٌ ۖ يَتَكَلَّمُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِغَ الْكَيْدُ فِي سَمِّهِ لِيُحْلِلُوا رَبَّهُمْ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: الآية 40] أَيُّ: يَدْخُلُ الْجَمْلُ - أَيُّ الْبَعِيرِ - فِي سَمِّ الْخِيَاطِ - أَيُّ ثَقْبِ الْإِبْرَةِ - أَحَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَتَحَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِلْكَافِرِينَ وَدَخُولَهُمُ الْجَنَّةَ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ الَّذِي يَمْنَعُهُ الْعَقْلُ، وَهُوَ «دُخُولُ» الْبَعِيرِ فِي ثَقْبِ الْإِبْرَةِ مَعَ بَقَاءِ الْبَعِيرِ عَلَى كِبَرِهِ وَثَقْبِ الْإِبْرَةِ عَلَى صِغَرِهِ، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ عَقْلاً عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَقْلِ لَا بِالشَّرْعِ.

وَأَمَّا عِنْدَ الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ بِالشَّرْعِ فَهُوَ جَائِزٌ اقْتِدَاراً إِلَهِيّاً، وَهِيَ مَسْأَلَةُ ذِي النُّونِ الْمَصْرِيِّ قَلَسَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي إِبْرَادِ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْغُرَ الْكَبِيرُ وَلَا يَكْبُرَ الصَّغِيرُ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَرْضُ السَّمْسَةِ الَّتِي دَخَلَهَا الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ مُحْيِي الدِّينِ ابْنُ عَرَبِي فَوَجَدَ فِيهَا ثَلَاثَمِائَةَ مَدِينَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَكُلَّ مَدِينَةٍ فِيهَا عَوَالِمٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَفِيهِمْ مَلُوكٌ وَرِعَايَا، وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْأَرْضَ فِي كِتَابِ الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، وَلَهُ رِسَالَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي ذَلِكَ، وَالْعُقَلَاءُ مُتَحِيرُونَ لَا يَعْرِفُونَ وَجْهَ الصَّوَابِ فِيهِ.

ومن تأمل في هذه العوالم الجسمانية الروحانية من السماوات والأرض وجميع الأماكن والأزمان فإن الله تعالى خلق ذلك كله لا في شيء، فالقادر الذي خلق الأشياء كلها لا في شيء لا يعجز عن دخول الجمل في سم الخياط، إذ ليس سم الخياط شيئاً، ولا يعجز عن شيء مستحيل في العقل خصوصاً إذا دل على كمال القدرة.

فقد ورد في الأخبار النبوية أمور كثيرة يحيلها العقل كأحوال الموتى في القبور، وأن القبر روضة من رياض الجنة للمؤمن، وهو حفرة من حفر النار للكافر، ومع ذلك هو قبر من قبور الموتى في الدنيا.

(و) أسألك (بِكُفَيْكَ) معطوف على قوله: بك أي: إظهارك وتجليك (مِنْ ذَاتِكَ) القديمة الأزلية المطلقة بالإطلاق الحقيقي عن مدارك البرية.

(بِالْعِلْمِ) أي بعلمك القديم الأزلي الذي هو ليس بتصور المعلومات ولا تصديق بها، وإنما علم الله تعالى نفسه بنفسه، فعلم العوالم كلها، فعلمه بنفسه هو علمه بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه، وعلمه عين ذاته، وكذلك جميع أسمائه وصفاته مع إيماننا بجميع ما ورد في القرآن وفي الأحاديث النبوية، ولا نقول بالتعدد في الأسماء والصفات، ولا بمغايرة ذلك للذات، ونؤمن بالغيب ونترك الغيب.

(الشُّوْبِي) أي: المنسوب إلى نور ذاتك، ونور ذاتك ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الثور: الآية 35].

(و) أسألك أيضاً بِسَرِّ (تَحْوِيلِكَ) من حيث الأسماء والصفات والأفعال والأحكام (في صُورٍ) جمع صورة.

كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه⁽¹⁾

(1) باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (182) [1/163] ورواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿يُؤَيِّدُ بِنُورِهِ﴾ [٣٧] ﴿إِنَّ نَبْعَ كَلْبَةَ﴾ [٣٨] [البيان: الأيتان 22 - 23]، حديث رقم (7000) [6/2704] ورواه غيرهما.

بإسناده عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة - رضي الله عنه - أخبره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيقول: مَنْ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسُ، وَيَتَّبِعْ مَنْ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرُ، وَيَتَّبِعْ مَنْ يَعْبُدُ الطَّوَائِفِ الطَّوَائِفُ وتبقى هذه الأئمة مُتَابِعُونَهَا فيأتِيهم الله عز وجل في صورة غير صورته التي يعرفونها، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكائنا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتِيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه إلى آخر الحديث الطويل بعد تحوّل الله سبحانه وتعالى من صورة إلى صورة يفتنّ فيها الحديث، وله روايات أخرى.

حضرة (أسمائك) فإن من أسمائه - تعالى - المصوّر، فإذا صور صورة أمسكها باسمه المصوّر، لأنها عرض فان.

(و) صور (صفاتك) يعني: الصورة التي تظهر عن تأثير أسمائه وصفاته، فإن العوالم كلها آثار أسمائه وصفاته، فهو الظاهر بصور العوالم كلها من حيث تجلياته بأسمائه وصفاته، وهو غيب الغيب من حيث ذاته تعالى، فهو الأول قبل ظهوره بصور العوالم، وهو الآخر بظهوره بصور العوالم، وهو الباطن عن صور العوالم. (بالوجود) متعلّق بتحوّل (الصوري) من حيث أسمائك وصفاتك، لا من حيث ذاتك.

(أَنْ تُصَلِّيَ) زيادة صلاة بعد صلاة تقدّمت، وبعد صلاة تأخّرت، وهي الصلاة الدائمة والنّعمة القائمة.

(عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ (صلاة تكمل) أي تضع الكحل الذي هو نور الحق ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35] فأحسن به في عيني الناظرة، كما ورد في الحديث: «كُنْتُ بَصَرَهُ الَّذِي يَنْصُرُ بِهِ»⁽¹⁾.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

فتبر (بها) أي بتلك الصلاة (بصيرتي) التي عين قلبي (بالتور الخرشوشي) إشارة إلى قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، لَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ الْهَتْدَى، وَمَنْ أَلْخَطَهُ فَقَدْ ضَلَّ وَهُوَ»⁽¹⁾.

(في الأزل) يعني: أن خلق هذا الخلق ورشَّ النور عليهم قديم، والحدوث ظهور ذلك بالنسبة إلينا.

(لأشْهَدُ فَنَاءً) أي: اضمحلال وانعدام (ما لَمْ يَكُنْ) من جملة هذه العوالم الحادثة.

(و) أشهد (بِقَاءِ) أي: دوام واستمرار (مَا لَمْ يَزَلْ) وهي عبارة الإمام الصنهاجي، وهو أبو العباس ابن العريف - قدس سره - في كتابه محاسن المجالس، وهو قوله: «يُفْنِي مَنْ لَمْ يَكُنْ، وَيُبْقِي مَنْ لَمْ يَزَلْ» وعبارة الصلوات هنا: (بما كان من) وفيها تغليب من لم يعقل على من يعقل، وفي الأصل تغليب من يعقل على من لم يعقل، والمراد واحد في قصد العموم، لأن المراد من هذه العبارة أنه: ما لم يفن كل ما سوى الله تعالى من بصر العارف ومن بصيرته، لا «لن» يظهر له الله الباقي الدائم الأبدى الأزلي، ولا يكون له الكشف والشهود، ومعرفة تجلّي الحق الودود.

ولابن العريف في كتابه المذكور عبارة أخرى وهي: «قولنا: الطريق عندهم أن يكون العبد غائباً والحق حاضراً».

(فَأُزِي) معطوف على أشهد (الأشياء) المحسوسة والمعقولة كلها وأنا معها مع رؤيتي لها جميعها.

(كَمَا هِيَ) ما تغيرت عن كونها (في أصلها مغنومة مفقوفة) فانية (و) عن (كونها لَمْ تَكُنْ) جميعها مع المتكلم والسامع، وكذا ذات كل شيء وصفاته

(1) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، کتاب الإیمان، حدیث رقم (83) [1] / 84 ورواه ابن حبان في الصحيح، ذکر إلقاء الله جلّ وعلا النور...، حدیث رقم (6169) [14 / 43] ورواه غیرهما.

وأسمائه وأفعاله وأحكامه الحادثات كلها المنسوبة عنده إليه (زائفة الوجود) ولا يليق بها الاتصاف بالوجود مع ربها، تعالى الحق فتشاركه في أمر انفراد به (فُضِّلًا عَنْ كَوْنِهَا) أي الأشياء (مَوْجُودَةً) أي متصفة بالوجود عند نفسها أو غيرها، كما قال النبي ﷺ: «كَانَ اللَّهُ - أي وجد - ولا شيء معه»⁽¹⁾، وهو الآن على ما عليه كان، وهذه الصفة له تعالى قديمة إليه، لا تتغير ولا تبدل لعدم حدوثها، وهي انفراده تعالى بالوجود.

وأدلته كثيرة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة المعتبر إجماعهم دون الجاهلين العوام، الجاهلين في كل زمان.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَدْعُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَلَكِ مَا يَكْفُوتُ مِنْ نُورِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [التحج: الآية 62].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: الآية 81].

وفي صحيح مسلم: «قال رسول الله ﷺ: أَصْدَقُ كَلِمَةٍ لَّالَ شَاجِرٌ لُبَيْدٌ:

«أَلَا كُلُّ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»⁽²⁾

والباطل مفسر بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القصص: الآية 88]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا كَانٌ﴾ [الرحمن: الآية 26]، ومن هداه الله إلى الحق وجد الأكوان كلها دالة.

وشواهد ما ذكرنا: ﴿مَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ فَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ [الأعراف: الآية 178]، ﴿مَنْ يُتَّبِلِ اللَّهَ كَسَلًا هَالِكٌ أَلَمٌ﴾ [الأعراف: الآية 186]، فهو في الشك والتردد والإنكار، محقوت مرتبط برؤية الأغيار، متلقب بدعوى الوجود، مستغرق

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، حديث رقم (2256) [4/1768] ورواه أحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (10076) [2/470] ورواه غيرهما.

في شهوات بطنه وفرجه أثناء الليل وأطراف النهار، حتى يدممه أجله المحتوم، فيخرج من الدنيا جاهلاً حائراً مغضوباً عليه ممقوتاً وهو محروم، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: الآية 213]، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية 29].

(وَأُخْرِجَنِي) معطوف على قوله: (أَنْ عَلَيْهِ) أي: اجعلني خارجاً.

(اللَّهُمَّ) أي: يا الله (بِالصَّلَاةِ) أي بسبب صلاتي التي أنت خلقتها لي ووصفتني بها، كما خلقتني وخلقت جميع أعمالي وقلت: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: الآية 96] أي: وأعمالكم.

(عَلَيْهِ) متعلق بالصلاة، واللام في الصلاة للعهد الذكري، أي: صلاتي التي تقدم ذكرها، فهو متوسل إلى الله بصلاته على النبي ﷺ أن يخرجني الله تعالى.

(مِنْ قُلُومَةٍ أَنَايَتِي) وهي قوله في نفسه: أنا، ووجدانه موجود في نفسه، مع أنه يعلم أن الله تعالى خلقه من عدم، وكان ﷺ إذا أقسم يقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»⁽¹⁾.

وقال الله تعالى بطريق الاستفهام ليعتبر الغافل في نفسه: ﴿أَلَمْ تَكُنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الزعد: الآية 33].

(إِلَى النُّورِ) وهو نورك الذي لم يذكر في القرآن إلا بالأفراد، وهو الوجود الحق الواحد الأحد المحيط بكل أحد، وليس غيره أحد.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نُنَرُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: الآية 35]، يعني وجودهما، والسموات والأرض معلومات كلها من أصلها، ولم تتغير عن أصلها الأصلي، كما أنه لم يتغير عن وجوده الأصلي.

وأخرجني أيضاً (مِنْ قَبْرِ جِسْمَانِي) أي: جسمي من المقبور فيه نفسي الروحانية، المنفوخة فيه من أمر الله المحيط بكل شيء.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْإِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥﴾ [الإسراء: الآية 85].

(إلى جمع) أي: اجتماع الخلائق كلهم الماضين، والحاضرين، والآتئين إلى (الحشر) يقال: حشرتهم حشراً من باب قتل جمعتهم، ومن باب ضرب لغة، وبالأول قرأ السبعة، ويقال: الحشر الجمع مع سوق، والمحشر موضع الحشر، ذكره في المصباح.

فالاخلاق كلهم الآن الماضين منهم والحاضرين والآتئين كلهم معدومون، محشرون بين يدي الوجود الحق والواحد الأحد.

(ق) إلى (فرق) أي افتراقهم واختلافهم في (النشور) نشر الموتى نشوراً من باب قعد حيوا، ونشرهم يتعدى ولا يتعدى أو يتعدى بالهمزة، فيقال: أنشرهم الله، ونشرت الأرض نشوراً حيث وأنبتت، وأنشزه - بالزاي - بمعناه، وفي التنزيل: ﴿وَأَنظُرْ إِلَى الظَّالِمِ صَعِيفٌ تُفْشِرُهَا﴾ [البقرة: الآية 259] في السبعة بالراء والزاء، ذكره في المصباح.

يعني بعد أن اجتمعت العوالم كلها في الموت والفناء والانعدام، فمنهم الذين ماتوا، ومنهم الذين يدعون أنهم أحياء في الحياة الدنيا التي هي كما هي قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا لِلدُّنْيَا لَوْمٌ وَلَهُوَ وَرِثَةٌ وَظَلَمَرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثَرُوا فِي الْأُمُورِ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [الحديد: الآية 20].

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَوْمٌ وَلَهُوَ﴾ [الأنعام: الآية 32].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَمَاتٌ ٣٥﴾ [الزمر: الآية 30].

وقال تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ خَيْرٌ لِّخَيْرٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ١١٠﴾ [النحل: الآية 21].

وقد افترقوا في النشور، فالحشر جمع، والنشور فرد، وهذا كله بالنظر إلى أن العوالم كلها غير الله تعالى، فهم خلقه دنيا وآخره، جمعاً وفرادى.

وأما النظر الثاني إلى أن ما تم إلا الوجود الحق الواحد الأحد، فلا شيء غير الله الوجود الحق، ويقابله العدم، فإذا اعتبرتهما من غير امتزاج، لأن الامتزاج لا يكون إلا بين الشئين كل واحد منهما موجود، وهنا أحدهما موجود والآخر معدوم، فالامتزاج مقدر مفروض من طرف الشيء الموجود لا من طرف الشيء المعدوم، فهو أمر موهوم وشأن غير معلوم.

(وَأَيْضاً) معطوف على أخرجني، من الفيض.

قال في المصباح:

«فاض السيل يفيض فيضاً كثر وسال من شفة الوادي، فاض الإناء فيضاً امتلاً، وأفاض بالالف لغة، ويقال: أفاض الرجل الماء على جسده صبّه».

وهذا أمر دعاء لله تعالى أن يفيض أي: يكثر ويُنزل.

وقوله: (عَلَيَّ) بتشديد الياء للمتكلم (مِنْ سَمَاءٍ تُزْجِيكَ لِئَاكَ) أي: علمك لنفسك بنفسك أنك واحد أحد فرد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد، كما أنزلت إلينا من كلامك القديم، على قلب نبيك الكريم.

(مَا تُظَهِّرُنِي بِهِ) من أدناس الأغيار، وأوهام المعارف والأسرار (مِنْ رَجْسٍ) أي: نجاسة، قال في المصباح: «الرجس: التَّن، والرجس: القذر، وقال القاري: وكل شيء يقتلر فهو الرجس، وقال النقاش: الرجس النجس، وقال في البارع: وربما قالوا: الرجاسة والنجاسة، أي جعلوهما بمعنى واحد». وقال الأزهري: النجس القذر الخارج من بدن الإنسان.

(الشُّرَكَ) أي: واعتقاد وجوده غير وجود الله، (و) رجس

(الإشراك) واعتقاد أن مع الله تعالى شيء آخر غيره، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [المؤمن: الآية 26]، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِكَ الْوَاقِعُ﴾ [الزمر: الآية 26]، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِكَ الْوَاقِعُ﴾ [الزمر: الآية 26]، [27].

(وَأَنْعِشْنِي) أي أنقلني من عثرتي، قال في المصباح:

«انتعش العاشق نهض من عثرتي، ونعشه الله وأنعشه أقامه».

وقال في القاموس:

«نعشه الله كمنعه رفعه كأنعشه ونعش، وفلاناً جبره بعد فقر، والميت ذكره ذكراً حسناً».

(بِالْمَوْتِ الْأَوَّلِي) وهي التحقيق بحياة الحق تعالى المحيطة بظاهره وباطنه التي مزج بها من بطن أمه إلى الدنيا لأجل مستمى، ثم كشف له أنه ميت من جهة نفسه، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: الآية 185]، فالموت فوق كما أن الحياة فوق، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: الآية 2] ذوقها للعبد.

(وَالْوَلَاةِ) أي: الخروج من بطن الأم (الثانية) وهي الإعراض عن الجسم الترابي وعن شهواته وما يقتضيه من أنواع الغفلات، والكشف عن التجلي الإلهي في كل شيء.

كما ورد في الأثر عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه كان يقول: «لَنْ يَلْجَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَنْ لَمْ يُولَدْ وَلَادَتَيْنِ، وَلَادَةٌ جِسْمَانِيَّةٌ وَلَادَةٌ رُوحَانِيَّةٌ».

(وَأَخْبِنِي) أي: اجعلني حياً بالحياة الباقية، وهي حياته تعالى التي أحيى بها كل حي، وإن ألبس الأمر على الغافلين، وعميت عنها قلوب الجاهلين، ويكون ذلك (في هذه الدنيا الفانية) التي لا وجود لها غير وجود الله تعالى عند أهل البصائر والأبصار، من عباد الله المقربين الأبرار.

(وَاجْعَلْ لِي نُورًا) وهو نورك الذي أضاءت له السماوات والأرض، وأشرقت به الظلمات، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة، كما ورد في الحديث من دعائه **«اللَّهُمَّ»** (1)، وجعل نوره تعالى له ظهوره به.

قال تعالى: **«وَمَنْ أَرَادَ يَسْجُدَ لِلَّهِ لَمْ يُؤْرِكْ فَمَا لَمْ يَنْ تُورِ»** [التور: الآية 40].

(أعشي) أصل المشي يكون برجلين.

قال في المصباح:

«مشي يمشي مشياً إذا كان على رجله سريعاً كان أو بطيئاً، فهو ماشٍ، والجمع: مشاة».

(به) أي بذلك النور لا بنفسه (في الناس) هو اسم وضع للجمع كالقوم والرهط، وواحد إنسان من غير لفظه، مشتق من ناس ينوس إذا تدلى وتحرك، فيطلق على الجن والإنس.

قال تعالى: **«الَّذِي يَوْمُسُوفُ فِي صُدُورِ النَّاسِ»** [الناس: الآية 5]، ثم قرأ الناس بالجن والإنس، فقال: **«بَيْنَ الْجَنِّ وَالنَّاسِ»** [الناس: الآية 6] سنى الجن ناساً كما سئوا رجالاً.

قال تعالى: **«وَلَقَدْ كَانَ يَجَالُ مِنْ الْإِنْسِ يَوْمُونَ يَجَالُ مِنْ الْجِنِّ»** [الجن: الآية 6]، وكانت العرب تقول: رأيت ناساً من الجن، لكن غلب استعماله في الأنس.

قال تعالى: **«وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهْوٌ»** [الأنعام: الآية 32]، فالمشي في الناس هو التحقيق بحقائق الأشياء، والكشف عن ضلالات عالم الوجود الحق باقياً.

(1) ونصه: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك أو تحل عليّ سخطك لك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك» رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ورواه غيره.

وقال البضاوي:

«مثل به من هداه الله وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل».

(فَلَرَى) ظاهراً بصرى، وباطناً بقلبي، رؤية حاصنة (به) أي: بذلك النور (وَجْهَكَ) الذي تواجه به كل شيء معدوم، فيظهر عليه نورك الحقي القيوم، فتقول العقلاء بالفهوم: وجد الشيء المعلوم، ويقول المحقق الذائق: ظهر وجه الله، ويطن الشيء الموهوم.

(أَلَمْ يَأْتِ مَا تَوَلَّيْتُ) توجهت بالحواس الخمس أو بالعقل في اليوم أو أمس، قال تعالى: ﴿فَلْيَبْهِنَا قَوْلَ فَنَّ وَجْهَ أَقْوَمَ﴾ [البقرة: الآية 115] اسم جامع للذات والصفات والأسماء والأفعال، المحسوس في طريق الذائقين من أولياء الله تعالى العارفين، والنظر بالعقول في معاني النصوص والنقول في طريق الغافلين، الغائبين عن شهود رب العالمين.

والله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَظْهَرُوا مَكَانًا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْفِ الْأَيْدِ وَالْأَلْسُنُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: الآية 101]، بأنه ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية 3].

(يُتَوَنَّبُ) متعلق بآري أي: من غير (إِشْتِبَاهٍ) أي: التباس.

قال في المصباح:

«الشبهة في العقيدة المأخذ الملبس، سميت شبهة لأنها تشبه الحق والشبهة العلقه، والجمع عليه تشبيهاً، مثل لبست عليه تليساً ونفاقاً ومعنى، فالمشابهة المشاركة في معنى من المعاني، والاشتباه الالتباس».

فقوله بعده: (وَلَا التَّيَّاسِ) تأكيداً بالمرادف، مثل: قمت وقوفاً، وقعدت قعوداً وجلوساً، إظهاراً لمعنى اليقين في ذلك.

واجعلني (فَاطِرًا) على وجه الكمال (بِقِيَمَتِي الْجَمْعِ) في شهوده الوجود الواحد محيطاً بجميع العوالم الكونية الحسية والمعنوية الجسمانية

والروحانية، والكل معدوم فإن في وحدة الوجود الحق.

(والفرق) في شهود الكثرة المختلفة في هذه العوالم المختلفة وغير المختلفة، فالأول قرآن، والثاني فرقان، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: الأيتان 193 - 194]، وهو القرآن الجمع، الجامع لكل شيء.

قال تعالى: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية 38].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ عَنْ عَذِيبٍ﴾ [الفرقان: الآية 1]، وهو الفارق بين الحق والباطل، فالأول بالذات، والثاني بالاسماء والصفات، وهما من وراء العوالم كلها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِبِكُمْ ۝ وَاللَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مُخِيطٌ ۝ يَلْهُو قُرْآنًا يَجِيدُ ۝ فِي نَجْمٍ مُخْتَصِمٍ﴾ [البزج: الآيات 19-22]، هو الفرق.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ نُفِخَ فِي السُّورِ﴾ [الأنعام: الآية 27] أي: اطلعوا بعد موتهم من الحياة الدنيا التي هي لعب ولهو ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فعرفوا أنه هو ولاهم ﴿قَالَ﴾ لهم ربهم ﴿آتَيْنَا هَذَا بِالنَّفْسِ﴾ أي: هو الحق المبين الذي ليس معه في الوجود غيره؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: الآية 30].

فإن قلت: قد حوّلوا أهل التفسير هذه الآية عن هذا المعنى الذي ذكرته وكذلك في بقية الآيات التي تستشهد بها أنت في هذا الكتاب وغيره وهو تفسير القرآن بالرأي والمفهوم العقلي، وهو مذموم شرعاً.

قلنا لك: هنا شيء أمرنا الله تعالى به في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالًا ۝﴾ [محمّد: الآية 24].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا ۝ كَثِيرًا ۝﴾ [النساء: الآية 82].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَيَّنَّاهُ الْفُرْقَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [الفرق: الآية 17] للتذكّر به في شأن

الله تعالى وشأن تجلّيته وغير ذلك، وقد أخبر تعالى أنه يستره على عباده ولكل من له فهم بحول الله تعالى وقوته.

ثم قال تعالى: ﴿فَهَذَا مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ [الفنر: الآية 17]، أصله: متذكّر - مفتعل في نفسه - ثم قلبت الذال دالاً وأدغمت في التاء فقليل: مذكر.

قال البيضاوي: «ولقد يسترنا القرآن: سهلناه أو هيّأناه من يسر ناقتة للسفر إذا رحلها، للذكر للإذكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر فهل من مذكر».

كرّر ذلك - أي هذه الآية - في هذه السورة أربع مرات في كل قصة إشعاراً بأن تكذيب كل رسول مقتضى لنزول العذاب، واستماع كل قصة يستدعي للإذكار والاتعاظ، واستيفاء واستئنافاً للتنبيه والإيقاظ، لئلا يغلبهم السهو والغفلة.

وهكذا تقرير قوله: ﴿فَإِنِّي مَأْلَمٌ رَيْكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: الآية 13]، ﴿وَلِيُؤْمِرَ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الفرسلات: الآية 15] ونحوهما.

(فأصلاً) بحكم القطع والجزم (بين الباطل) أي: المعلوم والمقدر الثابت بلا وجود (والحق) أي: الموجود المطلق الحقيقي القائم بنفسه، المقوم لكل معلوم مقدر ثابت بلا وجود، والفصل بينهما أمر حسي يُعرف بالحن وبالعقل، قال الشيخ رسلان الدمشقي - قنس سره - في رسالته⁽¹⁾: «الناس تائهون عن الحق بالعقل».

(دالاً) للناس (بك) بحولك وقوتك، لا بحولي وقوتي (هليك) بنطق لساني ورقم بناني.

(وهائياً) أي: مُرشداً لكل من اتبعني (يافئيك) متعلق بـ هادياً (إليك) أي: إلى معرفتك.

(1) الكتاب مطبوع بالدار والكتاب عنة شروح منها شرح الشيخ عبد الغني التابلسي.

متجلباً بكل شيء (بِرَحْمَتِكَ) أي: كثير الرحمة من كل شيء (يَا أَرْحَمَ)
لأنهم كلهم آثار رحمتك، فيرحمون غيرهم برحمتك التي وسعت كل شيء،
كما قلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية 156].

(الرَّاجِعِينَ) فَعَلَّ دَعَاءَ خَتَمِ الصَّلَاةِ الشَّرِيفَةِ تَأْكِيداً لَفِظِيّاً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ
تَكَرُّارِ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْمُنِيفَةِ.

(وَضَلَّ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً) موصوفة بأنها (تَقَبَّلُ) أي: تجعله
مقبولاً (بِهَا) عندك، مجاباً بما دعوتك فيه (دُعَائِي) مفعول تقبل.

(وَتُحَقِّقْ) أي: تجعل (بِهَا) أي: بهذه الصلاة (رَجَائِي) أي: ما أرجوه
منك محققاً مقطوعاً بحصوله من غير تخلف.

(وَ) ضَلَّ وَسَلَّمْ كَذَلِكَ (عَلَى إِلَهٍ) أي: أهل النبي ﷺ وكل من آل أي:
رجع إليه ﷺ بنسب أو اتباع (الْشُّهُودِ) أي: الذين يشهدون الله في كل شيء
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: الآية 88].

(وَ) آل (الْعِرْفَانِ) أي: المعرفة الإلهية والعلم الرباني بالهمة الرحمانية
(وَأَصْحَابِهِ) ﷺ جمع صاحب، وهو كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على
الإيمان إلى آخر الزمان، فإن رؤية النبي ﷺ باقية لأهل الكمال في الإيمان،
من أهل الصلق والإيقان.

ولقد اجتمعتُ بواحدٍ منهم كان من العلماء الكاملين، وكان يخبرني
برؤيته واجتماعه بالنبي ﷺ بقظة، وكنت أجمع به في المدينة الشريفة في الحرم
النبوي عام مجاورتي في شهور رمضان سنة خمس ومائة وألف، فأقعد معه عند
باب الحجرة الشريفة، ويخبرني بوقائعه مع النبي ﷺ، وأنا مصدق له في
كل ذلك ظاهراً وباطناً، وكان يحبني وأحبته، ويدعوني إلى بيته، فأفطر عنده،
وأراني مرة تفسيره للقرآن في كذا مجلد، وهو من العلماء الكبار رحمه الله
تعالى.

وللإمام القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ذكر رؤية النبي ﷺ لأحد المتأخرين، وللجلال السيوطي رسالة في ذلك سماها «إنارة الحلك في إمكان رؤية النبي والملك».

(أضخاب) يدل من قوله: وأصحابه يعني المصاحبين لتحقيق (الذوق) أي: الكشف الحسي عن تجلّي الوجود الحق بصور المخلوقات المعدّة (والتوَجُّدان) لذلك على التحقيق في نفوسهم وفي جميع الأكوان (ما) ظرفية مصدرية (بِاتِّسْرَتْ) أي: ملّة انتشار.

قال في المصباح:

«نشرت الثوب نشرًا خلاف طويته فانتشر».

(طُرّة) هي في الأصل كفة الثوب، والجمع طرر مثل غرة وخرر، ذكره في المصباح.

وقال في القاموس:

«الطرة - بالضم - جانب الثوب الذي لا هذب له... وطرف كل شيء، والناصية» إلى آخر ما ذكره، وهذا في الأصل، وربما يراد بها الجملة المضفور من شعر الرأس أو شعر غير الرأس، وهو المراد هنا، ولهذا أضافها إلى (لَبِلِ الْكَيَانِ) هو الكون بمعنى المكونات، فإنها ظلمة عدمية فانية، وانتشارها ظهور فنائها واضمحلالها في نور الوجود الحق، لأنه إذا ﴿جَكَأَ الْحَقُّ﴾ بأن ظهر لك ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: الآية 81] الذي هو المكونات، والباطل زهوق، أي زائل فاب في نفسه.

(وَأُسْفَرَ)⁽¹⁾ أي انكشف (جَبِينٌ) هو ناحية الجبهة من محاذاة التُّرْعَةِ إلى الصدغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها.

قال الأزهرى وابن فارس وغيرهما: فتكون الجبهة بين جبينين، ذكره

(1) وفي نسخة ورد عبارة [وأسفرت غرة] بدل [وأسفر].

في المصباح، والمراد بالجبين هنا طلوع نور الصباح، ثم أضاف الجبين إلى (الغيبان) أي المعاينة، يعني معاينة الحقيقة، طالماً في ظلمة الأكوان الفانية والآثار البالية.

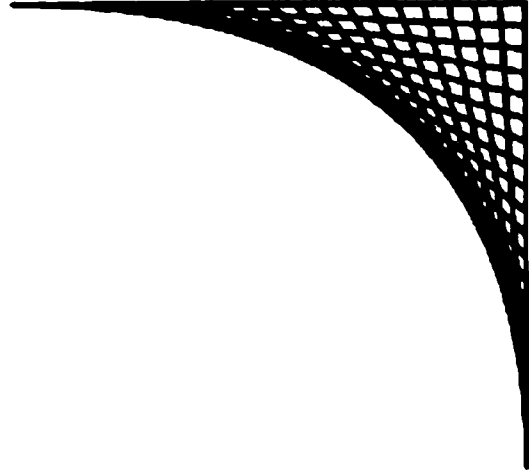
ثم قال: (آمين) يعني استجب يا الله دعائنا فيما دعوناك به.

(وَسَلَامٌ) مِنَّا وَمِنْكَ أَي: أمان من كل نقص (عَلَى) أَنْبِيَائِكَ (الْمُرْسَلِينَ) منك إلى عبادك لتنفيذ أمرك على حسب مرادك.

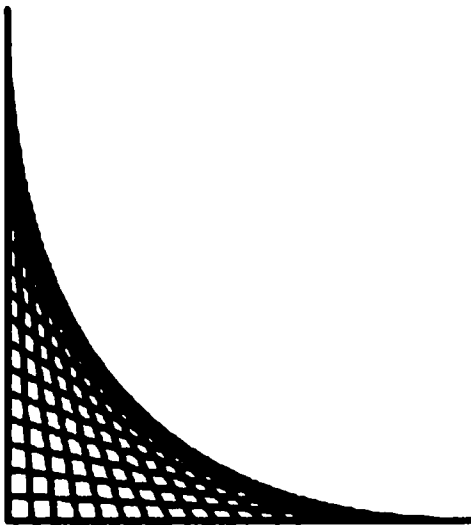
(وَالْحَمْدُ) هو الشكر الدائم والثناء القائم (لِلَّهِ رَبِّ) مَالِكٍ وَمُرَبِّي (الْعَالَمِينَ) جمع عالم بفتح اللام، والمراد بالعالمين ما سوى الله تعالى من المخلوقين.

وقد فرغنا من هذا الشرح المبارك - إن شاء الله تعالى - في يوم الأربعاء، السادس والعشرون من شهر شعبان سنة ثلاثمائة وواحد وثلاثين⁽¹⁾، وقد أجزنا كل من كان من أخوتنا المسلمين، ونرجو أن يدهو لنا، ويترخم علينا، ويقرأ لنا الفاتحة، ونرجوه تعالى القبول آمين.

(1) هكذا ورد بالأصل المخطوط وظاهر أنه خطأ لأن الشارح الشيخ عبد الغني النابلسي عاش ما بين سنة 1050 و1143 هجرية وواضح التباعد بين تاريخ الفراغ من شرح الكتاب وهذا التاريخ. ولعل الصواب سنة ألف ومائة وواحد وثلاثين، هذا والله تعالى أعلم.



فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

3 تقديم
7 ترجمة شارح الصلاة الكبرى الشيخ عبد الغني النابلسي
9 ترجمة مؤلف الصلاة الكبرى الشيخ الأكبر ابن عربي
9 نسبه
9 مولده ونشأته
15 مؤلفاته وشيوخه
25 نماذج من صور المخطوط
29 متن الصلاة الكبرى للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي .
37 الخطبة ومقدمة الشارح
	شرح الشيخ عبد الغني النابلسي على الصلاة الكبرى للشيخ الأكبر محيي
41 الدين ابن عربي
125 فهرس المحتويات

ŠARH AL-ŠALĀT AL-KUBRĀ

by

**Sheikh Abdul Ghani Al-Nabulsi
(D. 1143H.)**

edited by

Sheikh. Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali



BOOKS - PUBLISHER

بيروت - القاهرة - دمشق - حلب - اللاذقية - حمص - حماه - السويداء - تدمر - بعلبك - جبيل - زحلة - طرابلس - بيروت - بيروت - بيروت